أثر الإختلافات والتنازعات على وحدة الأمة الإسلامية

د. أبو سعيد محمد عبد المجيد *

* أستاذ مشارك - قسم اللغة العربية وآدابها - كلية معارض الوحي والعلوم الإنسانية - الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا.

ملخص البحث

إن الأمة الإسلامية تمرّ في هذه الأيام بظروف صعبة، ومرحلة عصيبة. لقد اعترتها التصدعات وعوامل الوهن. وهي تواجه تحديات كبرى. وفي مقابل ذلك نجد ما يحيط بالأمة الإسلامية من أوضاع مأسوية تسودها الفرقة والتمزق والاختلافات المذهبية، والتنازعات القومية، والخصومات الاقتصادية، والسياسية والحدودية.

إن هذا البحث يهدف إلى محاولة تشخيص العلة والداء، ومحاولة لتشخيص العلاج، قبل أن يعترينا الزوال والفناء، ومساهمة في حل أزمة التنازعات التي أدت إلى التفرق.

يسعى هذا البحث إلى دراسة أثر الاختلافات على وحدة الأمة الإسلامية. ويشتمل على أن الاختلاف الفكري قيمة إنسانية، ومفهوم الاختلاف في تاريخ التشريع الإسلامي، وأنواع الاختلافات والتنازعات، وأسباب اختلاف المسلمين، والدور الصهيوني في الصراعات الداخلية العربية، وتأثير الاختلافات والتحديات الداخلية لوحدة الأمة الإسلامية في تأسيس المذاهب الفقهية، والتحديات الخارجية لوحدة الأمة الإسلامية. ويتضمن كذلك أهمية وحدة الأمة الإسلامية وأهمية اللغة العربية في توحيد الأمة الإسلامية وعوامل الوحدة، كما يحتوي على روابط الأمة الإسلامية الواحدة.

توصلت هذه الدراسة إلى نتائج أهمها: أن اختلاف الناس قدر إلهي وجزء لايتجزأ من عقيدة المسلم. ويعد التعصب القومي والعنصري والمذهبي من جوهر الخلاف الذي فرّق الأمة. ومن إستراتيجية اليهود: التفتيت والتجزئة للعالَمين العربي والإسلامي إلى دويلات؛ فإن النزاعات العربية الإسلامية أفرزت حالة من الاضطراب الأمني في الإقليم، وعدم الاستقرار السياسي. والإسلام دعا إلى الوحدة؛ لأنها طبيعته وركنه الذي تقوم عليه دعوته الدينية الموجهة إلى الناس كافة. ومن الحقائق الأساسية التي تجابه الإنسان في العصر الحاضر أن النموذج الحضاري الغربي يشغل مكانًا مركزيًا في وجدان معظم المفكرين

والشعوب. واللغة العربية تلعب دوراً بارزاً لتوحيد الأمة الإسلامية؛ لأنها مصدر أساسي لفهم الإسلام.

فلا بد أن تنبذ العصبيات بكل أشكالها، والخلافات والفوارق الطائفية والقبلية والإقليمية والعرقية والمذهبية والقومية واللغوية، وأن تُحْكَمَ الرابطة الإسلامية بين الجميع، باتخاذ القرآن الكريم والسنة النبوية مصدرين للهداية والتوحد. وأن تحكّم الشريعة الإسلامية في الدول الإسلامية في كل شؤون الحياة. وأن يوحّد نظام التعليم ومناهجه وكتبه في العالم الإسلامي، بإدخال التعليم الإسلامي في جميع مراحل التعليم.

مقدمة:

الحمدُ للهِ ربِّ العالمِيْنَ، والصلاةُ والسلامُ على سيّد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ، ......أما بعدُ؛

فإنّ الأمةَ الإسلاميةَ تمرّ في هذه الأيامِ بظروف صعبةٍ حزينةٍ مؤسفةٍ، ومرحلة عصيبة. لقد اعترتها التصدعات وعوامل الوهن التي تُثِيْرُ في قلب المراقب المؤمن الهلعَ. وهي تواجهُ تحدياتٍ كبرى؛ فالقوى الكبرى تشنُّ هجوماً على البلدان الإسلامية، نظيرما يجري في أفغانستان، والعراق حيث يتعرض أبناء هذين الشعبين المسلمين لمذبحة وحشية قاسية بعد أن احتلتهما أمريكا. وإن العالم الإسلامي- ومعه العالم العربي- لم يحرّك ساكنًا في مساعدة الشعب العراقي على التخلص من وحشية نظامه، على أساس إنقاذ المصير العربي والإسلامي من احتلال جديد تحت تأثير شعار خادع وهو تحرير العراق من الطاغي. وفي هذه الفترة تكشف إسرائيل عن مشروعها الإجرامي واتساع نطاق الجرائم والمذابح الوحشية على المسلمين المشردين في أوطانهم؛ فخيرات بلادهم مسلوبة، وأرزاقهم حرام عليهم، حلال لغيرهم، وديارهم نهب مباح لشذاذ الآفاق من كل مكان.

وفي مقابل ذلك نجد ما يُحِيطُ بالأمة الإسلامية من أوضاع مأسوية تسودها الفرقة والتمزق والشتات والتشرذم، والاختلافات المذهبية والتنازعات القومية والخصومات الوطنية تكاد تذهب بحقيقة الأمة وكيانها، وأدّت إلى ضعفهم وهوانهم على الناس جميعًا.

إن ضعف المسلمين جاء من تفرق كلمتهم وشتات شملهم، نتيجة لتفرق المذاهب العقدية والفقهية؛ فمذاهب المسلمين المختلفة كانت الباب الذي دخل منه الخلاف، واستغلّ الاستعمارُ هذه الثغرةَ فوسّعها وباركها كما يبارك الشيطان فعل الكبائر، وأصبحنا نرى السني يخاصم الشيعي، والشيعي يلعن السني، بل إن الشيعة أنفسهم متفرقون، هذا إمامي، وذاك زيدي، ومنهم من غَلَا في مذهبه غلواً كبيراً؛ فهذا إسماعيلي، وذاك درزي، والآخر علوي، ثم نلفت النظر مرةً أخرى فنجد بعض رجال السنة يختلفون؛ فهذا حنفي أو شافعي أو

سلفي، ونجيل الطرف – بعد ذلك – فنجد هذا إباضياً، والآخر يميل إلى الاعتزال، وننظر إلى الإسماعيلية نفسها فنجد فيها النزارية الأغاخانية والمستعلية البهرة، ثم لا نكاد نلتقط أنفاساً حتى نلمح بعيداً في الهند جماعةَ الأحمدية أو القاديانية، وهي نحلة وضعية تنسب إلى الإسلام زوراً وافتراءً عليه، لتعارض أفكارها مع مبادئ الإسلام جملةً وتفصيلاً.

يشهد الواقع الراهن – كذلك – للأمة الإسلامية صراعاً بين دولها حول الموارد الاقتصادية والحدود السياسية، وهي صراعات لها جذور تاريخية، وتداعيات سياسية واقتصادية. ما تزال تمثل حجر عثرة أمام استقرار العالم الإسلامي، وتساهم بشكل مباشر في تكريس حالات الفرقة والشتات والتخلف الكائنة فيه. وتفصح هذه النزاعات عن نفسها في صور عديدة من الخلافات حول الحدود والثروات الطبيعية ونزاعات المياه[1].

إن محاولات الأعداء في الماضي والحاضر في استثمار اختلاف الآراء والاجتهادات، وتنوّع المناهج والمسالك مازالت مستمرة؛ ليتخذوها ثغرةً ومدخلاً لهم؛ لتفريق الأمة، وتشتيت وحدتها بتشتيت كلمتها. ذلك أن أعداء الإسلام يبحثون عن أسباب الخلاف، ويسلّطون عليها الضوءَ، ليغزوا بها صفوف المسلمين، الذين غلبت عليهم السذاجة والضعف، وانتشر فيها الجهل والغفلة.[2]

أهمية البحث:

إن واقع الأمة الإسلامية الأليم، وتفرقها الذميم، في ظل التحولات والتطورات الدولية الراهنة يفرض على الأمة الإسلامية بكافة دولها وشعوبها العمل على تحقيق أعلى درجات التكامل والتعاون. والقاعدة والأساس السليم لمواجهة كل التحديات هي وحدة الأمة. وهي مقصد أساس من مقاصد الدين، وهي مستمدة في أسبابها من وحدانية الله تعالى في خلقه وتدبيره، وفي حكمه،

---

(١) عفيفي، طلعت محمد، **المسلمون وداء الفرقة**، ط١، مصر، مكتبة دار الإيمان، ١٩٩٤م، ص٦.

(٢) المرجع السابق: ص٦.

وفي تلك الوحدانية تقتضي أن تكون الأمة المؤمنة بها أمة موحدة لوحدة السبب في وجودها وتدبيرها ومنهج حياتها- ومن ثَمَّ إن كانت وحدة المسلمين مهمة في كل عصر فإنها باتت ضرورة ملحة في هذا العصر نظراً لعظم التحديات التي تجابه أبناء الأمة في المستويات كافة: المحلي والدولي والسياسي والاقتصادي والفكري والثقافي والتربوي.(١)

منهج البحث:

ومنهجي في تسجيل ما يتعلق بالموضوع وصفي استقرائي تحليلي، ويتم ذلك من خلال الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة المطهرة ومظان الكتب التي تتعلق بالبحث.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

(١) توضيح حقيقة الاختلافات والتنازعات.

(٢) الوقوف على الأسباب التي أدت إلى هذه الاختلافات.

(٣) محاولة تشخيص العلاج قبل أن يعترينا الزوال والفناء.

(٤) حل أزمة الاختلافات والتنازعات التي أدّت إلى التفرق والتمزق والتي تعدّ سبباً أساساً في ضعفنا وهواننا على الناس.

محتوى البحث:

اقتضت طبيعة هذا البحث أن تقع في مقدمة وأحد عشر مبحثًا وخاتمة واقتراحات.

---

(١) البيانوني، محمد أبو الفتح، **وحدة العمل الإسلامي بين الأصل والواقع**، ط١، الأردن، دار عمار، ١٩٨٨م، ص٩-١٠، وانظر الدجاني، أحمد صدقي، **وحدة التنوع وحدة حضارية عربية إسلامية في عالم الترابط**، ط١، القاهرة، دار المستقبل العربي، ١٩٩٠م، ص٧٢.

ففي المقدمة تحدثت عن واقع الأمة الإسلامية الراهن بشكل عام، وبينت فيها منهجي في البحث وأهميته والهدف من اختياري لهذا الموضوع. وأما المبحث الأول: فقد عرضت من خلاله حقيقة الاختلاف ومفهومه، وحدّدت المبحث الثاني لأنواع الاختلافات والتنازعات، وخصصت المبحث الثالث لدراسة أسباب اختلاف المسلمين، وعقدت المبحث الرابع للدور الصهيوني والصراعات الداخلية العربية، وتكلمت في المبحث الخامس عن دراسة تاثير الاختلافات والتنازعات، وأما المبحث السادس: فقد تحدثت فيه عن التحديات الداخلية لوحدة الأمة الإسلامية في تأسيس المذاهب الفقهية والعقلية والإبداعية، وبينت في المبحث السابع التحديات الخارجية لوحدة الأمة الإسلامية، وذكرت في المبحث الثامن أهمية وحدة الأمة الإسلامية وضرورتها، وحدّدت المبحث التاسع لأهمية اللغة العربية في توحيد الأمة الإسلامية، وخصصت المبحث العاشر لعوامل الوحدة الإسلامية، وبينت في المبحث الحادي عشر روابط الأمة الإسلامية الواحدة.وتضمنت الخاتمة خلاصة البحث وأهم نتائجه. واختتم البحث بالاقتراحات والتوصيات المتواضعة.

المبحث الأول
حقيقة الاختلاف ومفهومه

(١) الاختلاف الفكري قيمة إنسانية:

إن سنَّةَ الله تبارك وتعالى قد قضت باختلاف الناس، والتنوع والاختلاف أمر فطري خلق الله تعالى الناسَ عليه، ولم يجعلهم متوحدين في وجودهم المادي من حيث الأشكال والألوان، آيةً للناس، كما لم يجعلهم متوحّدين من حيث المكاسب والأرزاق دفعاً إلى السعي والتعمير. لقد أشار الله تعالى إلى هذه السنة في القرآن الكريم، وقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ (المائدة: ٤٨) وقال أيضًا: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (هود: ١١٨- ١١٩)، وقال أيضًا: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ (النحل: ٩٣)، وقال أيضًا: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ (الشورى: ٨)، وقال أيضا: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ (الزخرف: ٣٣). فاختلاف الناس – طبقا للآيات هو قدَر إلهي، وجزء لا يتجزأ من عقيدة المسلم، لا يمكن فصله عن تشكيلة الطرح الوجودي الإسلامي القائم على اعتقاد حقيقة الاختيار الإنساني، الذي تتوقف عليه عقيدة الابتلاء الرباني، وهي التفسير الإسلامي الأوحد لسر الوجود الإنساني، والذي تمثل حقيقة الاختلاف الإنساني نتيجة حتمية مترتبة عليها. مما يعني أن إنكارها بوصفها حقيقة خلْقية هو إنكار لجزء من تشكيلة الطرح الوجودي الإسلامي، وأن اعتبارها مجرد ظاهرة عَرَضية هو إسقاط لشق من منظومة العقيدة الإسلامية، يفقدها تكاملها وانسجامها المطلوب في ذهن المسلم، تترتب عليه ضروب من الخلل والاضطراب في الفهم لحقيقة قيم الدين ومقاصده.

وإذا أُحْسِنَ استغلالُهُ فسيكون مصدر قوة للأمة، لا مصدر ضعف وتفرق،

وهو مصدر الثراء والإبداع الفكري. لأن المعارضة البنَّاءة بضوابطها لايمكن أن تكونَ مصدراً للتفرق، بل هي مصدر لمراجعة الذات وتصحيح الأخطاء، وهي أحسن طريق لإنضاج الأفكار والمشاريع.

(٢) وجود الاختلاف في تاريخ التشريع الإسلامي:

لو عدنا إلى سيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم – وهو الجيل الذي تخرج على يديه الكريمتين– لوجدنا بينهم اختلافاً كثيراً في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته. فقد كان صاحباه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب – وهما أقرب صحابته إليه وأكثرهم تقوى وفهمًا للدين – كثيراً ما كان يحدث بينهما اختلاف، فكانا ما استشارهما الرسول في أمر إلا اختلفا فيه في حضرته ﷺ حتى إنه نزل فيهما قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ﴾[(١)]. كما ثبت عنهما الاختلاف في مواطن كثيرة زمن خلافة الصديق، "فقد كان لكلٍّ منهما اتجاهه وطريقته في معالجة الأمور"[(٢)]. مما يعني أن اختلافاتهما لم تكن عوارض متسمة بالشذوذ، ولا يمكن ضبط منطلقاتها، وإنما هي نتيجة متولدة عن اختلاف في منحى التفكير. فقد كان الصدّيق رضي الله عنه نموذجا صادقاً لمنحى التهيّب والتحوّط في فهمه للنصوص وتعامله مع

---

(١) جاء في تفسير ابن كثير: "..وقد رُوي أنها نزلت في الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما..قال البخاري: حدثنا حسن بن محمد، حدثنا حجاج عن ابن جريج، حدثني ابن أبي مليكة: أن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أخبره أنه قدم ركْب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أمّرِ القعقاع بن معبد، وقال عمر رضي الله عنه: بل أمّرِ الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردتَ إلّا خلافي، فقال عمر رضي الله عنه: ما أردتُ خلافَك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزلت في ذلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ حتى نقضت الآية"، انظر: الدمشقي، إسماعيل بن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، بيروت، دار القلم، ط٢، دت، ج٤، ص١٨٢.

(٢) يوسف القرضاوي، **الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٩٩٣م، ص٤٥.

الواقع، في حين كان الفاروق رضي الله عنه نموذجاً مخالفاً، يمثل منحى الإقدام والجرأة في فهم النصوص وتأويلها واستنباط الأحكام منها، كما في معالجته لقضايا الواقع ومستجداته.

والحقيقة التي لابد من الوقوف عندها -هنا- هي: أن مواطن الاختلاف بين هذين الصحابيين الجليلين لم تتطور في يوم ما إلى أي مظهر من مظاهر التنازع والتصادم، بل كانا يختلفان ابتداء ثم سرعان ما يركن أحدهما إلى رأي الآخر، فيسارع فيه، اقتناعاً به كما في مسألة جمع القرآن وحروب الردة، أو حفاظاً على المصلحة العامة، كما في مسألة توزيع العطاء بين المسلمين. ولعل أظهر دليل على ذلك: أن اختلافهما لم يمنع عمر من أن يكون أول من بايع أبابكر بالخلافة، ودعا سائر المسلمين إلى الاقتداء به، ولم يمنع أبا بكر من اختيار عمر خليفة له اقتناعاً بكونه الأصلح لذلك الشأن العظيم على الرغم من اختلافه معه في منحى التفكير وطرق معالجة قضايا الواقع.

وهذا الوصف ليس قاصراً على الشيخين وحدهما، بل ينطبق على كل الصحابة حيث كان بعضهم أقرب إلى منحى الصدّيق في التفكير والفهم المتهيّب، في حين كان بعضهم الآخر أمْيل إلى منحى الفاروق في الفهم والتفسير الجريء. فقد كان الصحابي الجليل أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه كثير التحوط والاحتراز تماماً كالصدّيق، في حين كان الإمام علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه جريئا في التفسير والتأويل والاستنباط تماماً كصاحبه عمر. وهؤلاء الأربعة هم من جملة الصحابة العشرة المبشرين بالجنة، فمآلهم في الآخرة واحد، على الرغم مما كان بينهم في الدنيا من اختلاف في منحى التفكير.

كما كان الصحابي بلال بن رباح منتسباً لمنحى التهيب البكْري في فهم الدين وتفسير النصوص، خلافاً للصحابي عبد الله بن مسعود فقد كان منتسباً لمنحى الإقدام العمري. كما كان من "أبرز الأمثلة لهذا الاختلاف ما عُرف واستفاض عن كلٍّ من الصحابيين العالمين الجليلين: عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، رضي الله عنهم جميعاً. فقد كان ابن عمر يُبعد الأطفال عنه، حتى لا

يسيل شيء من لعابهم عليه، تحرّزا مما يُشتبه في نجاسته، وابن عباس يضمهم إليه، ويقول: إنما هم رياحين نشمها. وكان ابن عمر يغسل باطن عينيه في الوضوء، ويرى أن لمس المرأة ينقض الوضوء، وابن عباس لا يرى ذلك..." [(١)].

وعُرف عن الصحابي عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه التشدد في فقهه وسيرته وممارسة شعائره، فقد "كان كثير العبادة، حتى أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخفف ويعتدل فيها" [(٢)]. وكان في اجتهاده متهيّباً أقرب إلى منحى الصدّيق في الفهم والتطبيق. في حين كان الصحابي أنس بن مالك رضي الله عنه أقرب إلى المنحى العمري في فهم الدين وتطبيق أحكامه.

فهؤلاء صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين تربوا جميعاً في رعايته وحفظه وتلقوا علمهم ومعرفتهم من معين واحد هو معين القرآن والسنة، قد كانوا مختلفين في أفهامهم وتفسيرهم للنصوص وطرق استنباطهم للأحكام وسبل تنزيلها في واقع حياة كلٍّ منهم. وقد أمكننا من خلال عرض تلك النماذج -وغيرها كثير- وبعد استقصاء وقائع الخلاف بينهم أن نتبيّن منحيين متباينين في فكر الصحابة واجتهاداتهم، هما: "**منحى التهيب**" و"**منحى الإقدام**".

ولو أننا استحضرنا نشاط أولئك الصحابة في العلم والدعوة للاحظنا مسألة مهمة، مفادها أن كل من وقع نسبتهم إلى منحى الإقدام - فيما عدا الخليفة عمر بن الخطاب- كانوا قد أقاموا فترة في العراق، نشروا خلالها ما لديهم من علم ومعرفة بين أهل العراق، وتخرج على أيديهم أجيال من علماء

---

(١) "..ومثل ذلك موقفهما من الحجر الأسود والمزاحمة عليه، فقد روى سعيد بن منصور عن القاسم بن محمد قال: رأيت ابن عمر يزاحم على الركن حتى يدمى... وفي مقابل هذا روى الفاكهي من طرق عدة عن ابن عباس كراهة المزاحمة، وقال: لا يؤذِي ولا يؤذَى" انظر: الشوكاني، محمد بن علي ، **فتح القدير**، ج٣، ٤٧٥، ٤٧٦، (نقلا عن القرضاوي، الصحوة الإسلامية)، ص٤٥.

(٢) الزحيلي، محمد، **مرجع العلوم الإسلامية**، دمشق، دار المعرفة، مطبعة الصباح، دت، ص٤٤.

التابعين الذين نقلوا – بدورهم – علمهم إلى تابعيهم، وتكونت بذلك مدرسة العراق الفقهية المعروفة بمدرسة الرأي.

ونظراً لكون أساتذة تلك المدرسة الأوائل الذين مثّلوا نواتها الأولى كانوا أهل رأي في الاجتهاد واتسموا بقدر من الجرأة في اقتحام مكنونات النصوص الشرعية، والإقدام على تفسير ظاهرها وتأويل المتشابه منها، فقد اتسمت مدرسة العراق بالرأي والجرأة[١]. وسرى ذلك المنهج دأبا في تلاميذهم ومن جاء بعدهم، حتى كان الإقدام منهجا عاما دأبوا عليه وتوارثوه، فأنجب إمام العلماء أبا حنيفة النعمان (تـ١٥٠هـ) فقيه أهل العراق، وإمام مدرسة الرأي فيها، فهو بلا ريب سليل منهج الرأي الذي أرساه أولئك الصحابة رضوان الله عليهم وحامل لواء العلم فيها بعدهم على منهاجهم في الفهم والتنزيل.

في حين أن باقي الصحابة المذكورين ممن وقع نسبتهم إلى منحى التهيّب لم تثبت إقامتهم في العراق، بل استقروا بالمدينة ومكة والشام ومصر، وبثوا فيها ما لديهم من فقه في الدين على طريقتهم في الفهم والاستنباط. ومثّلوا النواة الأولى لمدرسة الأثر التي تخرجت منها بعض أجيال التابعين وتابعيهم الآخذين بمنحى التهيّب والتحوط الذي استقر لديهم منهجاً في اكتساب علوم الدين، وكان الإمام مالك بن أنس (تـ١٧٩هـ) ثم الإمام أحمد بن حنبل[٢] (تـ٢٤١هـ) إمامي مدرسة الحديث من أبرز العلماء العاملين بذلك المنهج.

---

(١) كما ساعد على إرساء ذلك المنحى الاجتهادي -أيضاً- بيئة العراق الحضرية التي كانت مهيّأة لتقبّل المنهج العقلي في الاجتهاد أكثر من النقلي.

(٢) أقام الإمام أحمد بن حنبل مذهبه الأثري في العراق التي نشأ فيها مذهب الرأي، ولم تمنع البيئة الحضرية العراقية قيام هذا المذهب جنباً إلى جنب مع مذهب الرأي؛ لأن الأوضاع السياسية والعلمية قد تغيرت في العراق وقتها، خاصة بعد سيطرة المعتزلة العقلانيين على شؤون الدولة، وتنكيلهم بالعلماء؛ مما نفّر العامة منهم، وقرّبهم إلى أهل الأثر، ومما أدى إلى تقارب المذاهب الفقهية السنّية التي كانت متجافية في مواجهة التحدي المعتزلي، ومن ثم انزاح عائق التنافر البيئي الموروث عن مرحلة الفتنة بين أهل العراق وأهل الحجاز والشام، فامتزج بذلك أتباع المذاهب الفقهية بين مختلف أصقاع البلاد الإسلامية، بما فيها العراق التي صارت حاضرة العالم الإسلامي وملتقى الأجناس فيه.

أما الإمام الشافعي (تـ٢٠٤هـ) فقد كان عالماً رحّالة انتقل بين مختلف أمصار البلاد الإسلامية، وتلقّى العلم عن كلتي المدرستين، فكان مذهبه ينحى منحى التوفيق بين كل من الاتجاهين العقلي والنقلي، متوسطاً بين أهل الرأي وأهل الحديث.

فهؤلاء الأئمة الأربعة – الذين انتقلت عبرهم علوم الشريعة من السلف إلى الخلف حتى وصلت إلينا اليوم، ولا يمكن إنكار فضلهم في ملء حلقة مهمة من حلقات الفكر الإسلامي في واجهته التشريعية– قد تعددت مذاهبهم، واختلفت مواقفهم، ولم يجرؤ أحد على التشكيك في أصالة فكرهم وسلامة اجتهادهم.

بل إن الاختلاف سنة قد دأب عليها أعلام المسلمين ممن سبق أولئك من التابعين والصحابة الذين تلقوا دينهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه، واختلفو بحضرته في فروع الدين. ولم يُنكر عليهم شيئاً من ذلك، بل الثابت أنه أقرهم عليه[١]. فكيف أصبح ذلك ممتنعاً في حق فقهاء المسلمين وأتباعهم في هذا العصر؟ والحال أن واقعهم قد أصبح أكثر تعقيدا وأدعى بالتالي إلى نهج التيسير، وأحوج إلى سماحة الإسلام، ودرء أسباب الشقاق منه في أي وقت مضى!؟.

---

(١) انظر في هذا الصدد كتاب: **أدب الاختلاف في الإسلام**، لطه جابر العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٣، ١٩٨٧م، مبحثا بعنوان "اختلاف الصحابة في عهد الرسول الله صلى الله عليه وسلم"، ص٣٢ وما بعدها ففيها من إحالات قيمة.

المبحث الثاني
أنواع الاختلافات والتنازعات

تنقسم الاختلافات والتنازعات إلى أنواع كثيرة، أهمها:

(١) نشوء المذاهب الفقهية:

من الواقع: أنه لم تكن هناك حاجة شديدة للاجتهاد في عصر الرسول صلّى الله عليه وسلم، بعد أن كانت الأحكام والمفاهيم تؤخذ مباشرة منه، وربما اجتهد بعض الصحابة فأقرهم الرسول عليه السلام على ذلك. وكان الاختلاف بسيطاً. وعندما اتسعت الرقعة الإسلامية نزلت آية [النَّفْر] التي قررت واقعاً وشرعت أساساً للاجتهاد، وحجية الخبر الواحد. فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ (التوبة: ١٢٢). ولكن وتيرة الاجتهاد ارتفعت – بطبيعة الحال – بعد وفاة الرسول صلّى الله عليه وسلم، وهكذا استمرت بشكل أشد في عصر التابعين، إلا أن المذاهب لم تظهر بشكل واضح محدد المعالم إلا بعد هذا العصر. وكانت المذاهب التي ظهرت بعد طبقة التابعين – كما يرى بعض العلماء – مذاهب فردية، لم تتبن من قبل أتباع أصحابها، ولذلك انقرضت بانقراض أتباعها.[1] وأما المذاهب التي استمرت مع الزمن وحتى اليوم فهي:

- (١) المذهب الإمامي الاثنا عشر. (٢) المذهب الزيدي (٣) المذهب الحنفي (٤) المذهب الشافعي (٥) المذهب المالكي (٦) المذهب الحنبلي (٧) المذهب الإباضي.

---

(١) طبقات الفقهاء، القسم الثاني من المقدمة، ص٥٧.

(٢) نشوء المذاهب الإسلامية العقدية:

وكان عليه السلام يشتد غضبه إذا رأى أصحابه يتجادلون في شيء من أصول الدين؛ فقد روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يختصمون في القدر، فكأنما يفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب، فقال: ((بهذا أمرتم؟ أو لهذا خلقتم؟ تضربون القرآن بعضه ببعض، بهذا هلكت الأمم قبلكم!)).[(١)] وكان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم على عقيدة واحدة واضحة ليس فيها أي غموض. ولكن بعد وفاة الرسول عليه السلام نشأت الفرق الإسلامية الكثيرة، منها: الخوارج، والقدرية، والمرجئة، والأزارقة، والمارقة، وغيرهم.

إن قضية مرتكب الكبيرة التي احتدم فيها الخلاف بين الفرق بعد قضية الإمامة قد غالى فيها الخوارج حتى عدوا مرتكب الكبيرة مشركًا حلال الدم والمال، بينما فرط فيها المرجئة بأن قالوا: إنه لاتضر مع الإيمان معصية.[(٢)] ومن القضايا التي ثار الخلاف حولها: قضية الجبر والاختيار؛ فلم يكن تولي معاوية الحكم يلقى رضاً واتفاقاً من جميع المسلمين، كذلك لم يكن للأمويين فضل وسبق في الإسلام. ولم تكن الفكرة إلا عقيدة الجبر، فوصولهم إلى الحكم، وسلطانهم على الناس، إنما هي قدر من الله قد قدّره، لا حيلة للناس في دفعه.[(٣)] وكان لهذه العقيدة رد فعل عند خصوم الأمويين الذين سموا القدرية فقالوا:"إن كل فعل للإنسان هو إرادته المستقلة عن إرادة الله سبحانه".[(٤)] هذه هي أمهات المسائل العقدية التي دار الخلاف حولها إبان الحكم الأموي ثم

---

(١) ابن ماجه، مقدمة باب القدر، حديث رقم ٨٣.

(٢) السالمي، عبد الله بن حميد، شرح الجامع الصحيح، المطابع العالمية، سلطنة عمان، ط٢، ١: ٧٧.

(٣) المغربي، علي عبد الفتاح، الفرق الكلامية الإسلامية، مدخل ودراسة، مكتبة وهبة، ط١، ١٤٠٧هـ، ص٥٩.

(٤) أبو زهرة، محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص١١٠.

ظلت رقعة الخلاف تتسع، فظهرت في أيام العباسيين مسألة خلق القرآن وغيرها من المسائل التي كان لها أكبر الأثر في تفرق الأمة.

(٣) نشوء الاختلافات السياسية:

ترك النبي صلّى الله عليه وسلم للمسلمين الحرية في اختيار الخليفة، فلم يفرض أحدًا، واتفق المسلمون على اختيار أصلح المسلمين من قريش، ثم انتقلت الخلافة من مرحلتها الراشدة حتى أصبح ملكًا عضوضاً، بتولي الأمويين الحكمَ، ثم انتقلت إلى العباسيين، ثم تعددت مراكزها في مصر والمغرب والأندلس إلى أن سقطت عام ٦٥٦هـ بسقوط بغداد بأيدي التتار، ثم أعيدت في القاهرة، إلى أن حملت السلاطين العثمانيون لقب الخلافة منذ القرن الثامن الهجري.[١] وانتهت الدولة العثمانية الكبرى سنة ١٩١٨م بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى؛ فتمزقت الدول الإسلامية بعدها وأصبحت دويلات، وانقسمت فيها السياسة إلى تيارات مختلفة، منها: الاشتراكية، والماركسية والماسونية، والعلمانية، والدينية.[٢] وكل يدعي أن الوحدة لايمكن تحققها إلا بالوحدة العربية المتمثلة في تياره.

---

(١) الجندي، أنور، العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي، دار الكتاب اللبناني، ط٢، ١٩٨٣م، ٤: ٢٣.

(٢) العيسمي، شبلي، عروبة الإسلام، ط٣، مطبعة الانتصار، بغداد، ١٩٨٥م، ص١٤٥.

المبحث الثالث
أسباب اختلاف المسلمين

مر بنا أن المسلمين اختلفوا إلى مذاهب في السياسة والفقه غير أن الاختلاف لم يتناول لبَّ الدين وجوهره؛ فلم يكن الاختلاف في وحدانية الله تعالى، وشهادة أن محمدًا رسول الله صلّى الله عليه وسلم، ولا في القرآن الكريم المنـزّل على عبده. وبعبارة أخرى أوسع لم يكن الخلاف في ركن من أركان الإسلام، وإنما هو في أمور لا تمسّ الأركان والأصول،[١] كما ورد في الحديث، عن زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها أنها قالت: استيقظ النبي مُحْمرًّا وجهُهُ يقول: **((لا إله إلا اللهُ، ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب...))[٢] ويشير النبي صلّى الله عليه وسلم إلى ما يجري بين المسلمين من خلاف من بعده.**

الأسباب القديمة:

وهنا يتبادر السؤال. لماذا اختلف المسلمون بعد النبي صلّى الله عليه وسلم وقد تركهم على المحجّة البيضاء، وترك فيهم كتاب الله تعالى. والجواب على ذلك يمكن أن ينحصر في الأسباب التالية:[٣]

١. العصبية:

من جوهر الخلاف الذي فرق الأمة. وكانت العصبية قد اختفت في عصر النبي صلّى الله عليه وسلم، واستمرّ اختفاؤها حتى زمن الخليفة الراشد الثالث، حيث انبعثت قومية في آخر عهده؛ لتكونَ هي من أسباب الفرقة بين الأمويين والهاشميين، ثم الاختلاف بين الخوارج وغيرهم. وقد كانت القبائل التي ظهر

---

(١) أبو زهرة، الإمام محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسية والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١: ١١.

(٢) رواه البخاري، حديث رقم (٧٠٥٩) ٤: ١١٣.

(٣)

فيها مذهب الخوارج من قبائل (**ربيعة**)، لا من قبائل (**مضر**)، والنزاع بين الطرفين معروف في العصر الجاهلي، إلا أنه اختفى بظهور الإسلام.(١)

٢. التنازع على الخلافة:

برز هذا الاختلاف عقب وفاة الرسول صلّى الله عليه وسلم مباشرةً. قال الأنصار قولتهم، وقال المهاجرون قولتهم في سقيفة (**بني ساعدة**). وكانت خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه حسْماً للخلاف. ثم اشتدت الخلافات بعد ذلك حول الخلافة. من هو أحقُّ بالخلافة من غيره. هل هو من قريش عامة، أم هو من أولاد علي رضي الله تعالى عنه خاصةً، أم هو من المسلمين بوجه عام؟ وهكذا انقسم المسلمون إلى خوارج وشيعة وجماعاتٍ أخرى.(٢)

٣. النعرات القومية:

وهي التعصب القومي والعنصري الذي هو من موروثات الجاهلية، حيث يشكّل المسلمون قوميات متعددة من عرب وعجم وترك وبربر وغيرهم من الشعوب والقبائل، ولكن هذا الاختلاف في القوميات والأعراق اختلاف تكويني، لايصحّ أن يكونَ سبباً للاختلاف ومانعاً للوحدة، حيث عالج تبارك وتعالى هذا الاختلاف بقوله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ (الحجرات: ١٣).

فالاختلاف في اللون واللسان والدم، وإن كانت هذه عوامل توحد طائفة كبيرة من البشر، لكنها عوامل عرضية، لا تتصل بجوهر الإنسان، والإيمان بأصول الإسلام هو عامل باطني وذاتي أقوى من تلك العناصر والاختلافات.

٤. مجاورة المسلمين لأهل الديانات:

دخل كثير من أهل الديانات القديمة في الإسلام كاليهود والنصارى

---

(١) أبو زهرة، الإمام محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد: ١: ١٢.

(٢) المصدر السابق: ١: ١٣.

والمجوس. وكانوا لايزالون يحملون أفكارهم الدينية الباقية من دياناتهم القديمة وقد استولت على مشاعرهم؛ لذلك فقد سلك هؤلاء طريقة التعرف على الحقائق الإسلامية على ضوء معتقداتهم القديمة؛ فأثاروا بين المسلمين ما كان يُثَارُ في دياناتهم من الكلام في صفات الله تعالى، وفي الجبر والاختيار. لقد دخل في الإسلام من تظاهر به وأبطن غيره، ليُفْسِدَ على المسلمين أمور دينهم ويبثّ الأفكار المنحرفة بينهم كما فعل الزنادقة وغيرهم.[١]

٥. شيوع الترجمة:

كان لكتب الفلسفة المترجمة الأثر الواضح في الخلاف إذ دخل في الفكر الإسلامي الكثير من الآراء، ومن النزعات الفلسفية المتعلقة بأمور الكون وما وراء الطبيعة المحسوسة، وفي المادة؛ فظهر من علماء المسلمين من نزع منـزع الفلاسفة الأقدمين وأخذوا بطريقتهم. وظهر في العصر العباسي أقوام ينـزعون إلى الشك في الأمور؛ تقليداً لمن ظهر من أمثالهم في اليونان والرومان. وظهر مفكّرون يفكّرون في العقائد الإسلامية تفكيراً فلسفياً كالمعتزلة الذين نهجوا مناهج الفلاسفة في إثبات العقائد الإسلامية.[٢]

٦. شيوع البحث في الأمور الغامضة:

كان من نتائج شيوع الأفكار الفلسفية بين علماء المسلمين ظهور محاولات لدراسة أمور لايستطيع العقل البشري أن يتوصل فيها إلى نتائج مقرّرة وثابتة، كمسألة إثبات الله تعالى أو نفيه، ومسألة قدرة العبد إلى جوار قدرة الرب.[٣]

٧. ظهور القصص:

على أثر الخلاف الذي برز في عهد الخليفة الثالث ثم الرابع، ظهرت نزعة صياغة القصص وعرضها على أذهان الناس. وهي أصلها خرافات وأساطير

---

(١) المصدر السابق: ١: ١٣.
(٢) المصدر السابق: ١: ١٤.
(٣) المصدر السابق: ١: ١٥.

مأخوذ بعضها من الديانات القديمة السابقة، بعد أن أدخل فيها التحريف. وكان ذلك من أسباب دخول الكثير من الإسرائليات في كتب التفسير وكتب التاريخ الإسلامي. وقد كانت هذه من أسباب الخلاف، لا سيما إذا كان راوي القصة صاحب مذهب، أو زعيم فكرة، أو سلطان أمة.(١)

٨. المتشابه في القرآن الكريم:

لقد ثبت ورود المتشابه في القرآن الكريم بموجب أحكام الآية من سورة آل عمران قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ (آل عمران:٧). ولقد كان ذلك سبباً في اختلاف العلماء في مواضع المتشابه من القرآن الكريم. وحاول الكثيرون تأويله والوصول إلى إدراك حقيقة معناه، فاختلفوا في التأويل وأراد غيرهم أن يجعلوا بينهم وبينه حجاباً مستوراً فلم يسلكوا طريق التأويل.(٢)

٩. استنباط الأحكام الشرعية:

إن النصوص تتناهى، ولكن الحوادث لاتتناهى، فكان لابد من استنباط حكم شرعي لكل حادثة من الحوادث، وإن شملت الأحكام الكلية، إلا أنها لا تشتمل على الأحكام الجزئية بالنص؛ فكان لابد من التعرف بالنظر والفحص؛ لذلك تشعبت طرق التعرف إلى الأحكام. وكلٌّ أخذ بما استقام في منطقه ونظره وبما وصل إليه من حديث أو أثر.(٣)

---

(١) المصدر السابق: ١: ١٥.
(٢) المصدر السابق: ١: ١٥.
(٣) المصدر السابق: ١: ١٦.

١٠. الجهل بمعتقدات الآخرين:

يعدّ جهل بعض المسلمين بمعتقدات الطوائف الأخرى من الأمور التي أدّت إلى الاختلاف، حيث يجب الوقوف على حقيقة معتقدات جميع الطوائف الإسلامية، والوقوف على أدلتهم في الفقه والأصول وفي الاجتهاد، إذ لو عرف بعضنا بعضاً بشكل واضح لما عاب أحدنا على الآخر، كما لا يجوز التشهير بالآخرين وذكر أخطائهم وهفواتهم علَناً، بل يجب التذكير بها فيما بيننا بوصفنا أسرة واحدة، بعيداً عن التشكيك وكيل الاتهامات إلى الآخرين، وكما يجب الحوار الهادف والبنّاء المستند إلى الدليل من خلال الاطلاع على معتقدات بعضنا والرجوع إلى المصادر الأصلية لكل طائفة من طوائف المسلمين.

الأسباب الحديثة:

إن الأسباب الحديثة للنزاعات كثيرة، من أهمها ما يلي:

١ – الخلافات العربية حول الحدود والموارد الاقتصادية:

إن الأهمية الاقتصادية التي تتمتع بها المناطق الحدودية، وسعي الدول لتنمية مواردها الاقتصادية كان وراء ظهور معظم النزاعات الحدودية في دول العالم الإسلامي، وعلى وجه الخصوص في الدول العربية.

ولا شك أن عدم ترسيم الحدود وتعيينها، إضافة إلى وجود ثروات طبيعية وموارد اقتصادية في هذه المناطق تشمل مصادر الطاقة والمعادن والمواقع الاستراتيجية زاد من أسباب التوتر والصراع بين الدول[١].

إن الحدود بين الدول العربية تمثل في طبيعتها ظاهرة سياسية حديثة التكوين، جاءت مع الاستعمار الأوروبي، حيث كانت هذه البلاد جزءاً من الخلافة الإسلامية العثمانية إلى نهاية الحرب العالمية الأولى. وقد وضعت هذه الحدود بصورة معيبة ولم تراع فيها الاعتبارات الموضوعية والفنية التي تتبع عند

---

(١) باخشب، عمر بن أبو بكر، **الخلافات الحدوية بين دولتي قطر والبحرين وفقاً لمبادئ القانون الدولي العام**، مجلة الاقتصاد والإدارة، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية- جدة، مجلد (١٥) العدد(١)، ص ٢٠٣-٢٤٧.

تعيين الحدود وترسيمها بين الدول. وتجاهلت الإدارة البريطانية - ربما عن قصد- نطاق السيادة الفعلية للكيانات السياسية، وأهملت مراعاة الواقع الاجتماعي والبشري في المناطق التي تمر بها الحدود، الأمر الذي أدى إلى انفجار الصراعات والنزاعات حول الموارد الاقتصادية والحدود السياسية ونشأت مشكلات عرقية أو سياسية، ما زالت الدول العربية تعاني آثارها وتداعياتها(١). وعليه، فإن الدول العربية لم يكن لها أي دور في تعيين حدودها السياسية، وإنما هي حدود مصطنعة بفعل الاستعمار، ولذلك يتعذر في كثير من النزاعات العربية أن تجد مستندات ووثائق رسمية في المصادر الوطنية، خاصة عندما تنشب الخلافات بين الدول حول الحدود، وتبرز الحاجة للتحكيم بين الأطراف المعنية. لقد شهدت منطقة الجزيرة العربية بصفة خاصة نزاعات كثيرة معلنة ومستترة حول الحدود منذ أوائل الخمسينات، مما أدى أحياناً إلى توترات عسكرية، وأفضى إلى تدخلات خارجية تحت ذرائع مختلفة، منها: حماية طرف في مواجهة الطرف الآخر، أو تطبيق قرارات الشرعية الدولية، أو حفظ الأمن والسلام على المستويين الإقليمي والعالمي.

إن ما تمثله المناطق الحدودية من أهمية اقتصادية وإستراتيجية أصبح يشكل عاملاً مهماً من العوامل التي تثير النزاعات بين الدول، سواء أكان ذلك في حالة الحدود غير المعينة أم الحدود المرسومة على الأرض أو الحدود البحرية. وأصبحت التطلعات الاقتصادية والرغبة في الهيمنة الإقليمية تحكم تصرفات بعض الدول، وتحدد اتجاه سياساتها الخارجية، كما تشكل هدفاً تسعى إليه دول أخرى، حتى وإن كان على حساب الروابط التاريخية وعلاقات الجوار وصلات القربى والدين، ومن ثم لا غرابة أن نجد صراعات دامية في الوطن العربي، كانت

---

(١) **محروس، صادق، منازعات الحدود في دول مجلس التعاون الخليجي: ملامحها العامة مع دراسة للنزاع القطري-البحريني والنزاع القطري-السعودي**. مجلة الاقتصاد والإدارة، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية- جدة، المجلد (٨) العدد (١)، ص ٢٦٣-٢٨٤. صادق سعيد محروس، "منازعات الحدود في دول مجلس التعاون الخليجي: ملامحها العامة مع دراسة للنزاع القطري-البحريني والنزاع القطري-السعودي". مجلة الاقتصاد والإدارة، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية- جدة، المجلد (٨) العدد (١)، ص ٢٦٣-٢٨٤.

بسبب رغبة بعض الدول في السيطرة وتحقيق أهداف اقتصادية، فالنزاع العراقي الكويتي كان في بداية الأمر نزاعاً حول الحقول النفطية التي تقع في الحدود المشتركة بينهما، وما لبث أن قام العراق بغزو الكويت مستهدفاً تأمين مصالح اقتصادية وأمنية، وما يترتب على ذلك من إحكام السيطرة على منطقة الخليج. ويضاف إلى ذلك ما قامت به إيران بغرض تحقيق مكاسب استراتيجية واقتصادية من وراء فرض سيطرتها على جزر الخليج الثلاث: طنب الصغري والكبري، وأبو موسى، التابعة للإمارات، نظراً لما تتمتع به تلك الجزر من أهمية إستراتيجية من خلال التحكم في مضيق هرمز. وكذلك النزاع بين اليمن وإريتريا الذي نشب في عام ١٩٩٥ حول جزر حنيش الكبري، وذلك على ضوء الأهمية الإستراتيجية لموقع الجزيرة المطل على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر.

وأبرز الشواهد على نزاعات الحدود العربية: ما وقع من نزاع بين الدول الخليجية حول الحدود الموروثة من الاستعمار، حيث أبقت بريطانيا بعد انسحابها من الخليج العربي حدوداً غير مرسومة وخلافات حول الموارد غير محسومة. ومع أن التنافس بين الشركات النفطية البريطانية والأمريكية قد زاد من حدة الاهتمام بتسوية الخلافات الحدودية بين دول المنطقة. وطيلة العقود الماضية سعت بعض الدول إلى تسوية معظم خلافاتها بالطرق السلمية عن طريق المفاوضات والحوارات الثنائية، غير أن بعض هذه الخلافات وأكثرها خطورة ما فشل في تسويته بالتفاوض السلمي، سواء عن طريق ثنائي أو متعدد الأطراف، ومثال ذلك: الخلافات بين الكويت والعراق، والتي كانت سبباً من أسباب غزو الأخير لها في عام ١٩٩٠، مما هيأ الظروف إلى اتساع رقعة التدخلات الخارجية في المنطقة العربية، وأدى إلى تدهور العلاقات وتأزمها ليس بين الدولتين المعنيتين بالخلافات بل شمل ذلك جميع دول الجامعة العربية، والتي انقسمت بين معسكرين: معسكر مؤيد للكويت، والآخر رافض لها وعاجز عن إيجاد حل للأزمة في إطار المجموعة العربية، الأمر الذي زاد من أزمة العلاقات العربية، وأضعف دور جامعتها، وأوهن من نظامها المشترك.

(٢) تبعية أكثر الدول الإسلامية لدول الغرب، والصدور عن رأيها، والتمشي مع قراراتها: وهي التي تفرضها الدول الاستعمارية العظمى على بعض دول المسلمين؛ مما يؤدي إلى نشوء الفتن والصراعات فيها، وإشاعة الظلم

والاضطهاد لأبنائها بعضهم لبعض، مما يتسبب في الفوضى وعدم الاستقرار، واستحالة التوحد بين أبناء الشعب الواحد داخل الأمة الإسلامية.

(٣) استبدال القوانين الوضعية بالشريعة في معظم دول العالم الإسلامي. والحق أن الحكم يتم بما أنزل الله تعالى، قال تعالى:﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾(المائدة: ٤٩– ٥٠). والله سبحانه وتعالى ألزم رسوله عليه السلام الحكمَ بالقرآن الكريم المنزّل عليه، ولايمكن أن يتبع أهواء المعاندين الزائغة. وهو تعالى ينكر على كل من خرج عن حكم الله تعالى المشتمل على كل خير، إلى سواه من الآراء والأهواء، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات التي يضيعونها بآرائهم المعوجة وأهوائهم الطائشة.[١]

(٤) دخول الأفكار الهدّامة في الدول الإسلامية، مثل الاشتراكية والشيوعية والعلمانية والمأسونية وغيرها. وهي تحارب الدين الإسلامي. وإن الدين المرضي المقبول عند الله تعالى هو الإسلام فقط، والإسلام هو الإيمان بالله تعالى وإطاعة أوامره، وهو شيء واحد متفق عليه بين جميع الأنبياء. ومن يطلب غير الإسلام المتمثل في التوحيد وغيره دينًا؛ فلن يقبل منه قطعاً في الآخرة، وكان من الذين خسروا أنفسهم، وأضاعوا حياتهم في غير المفيد لهم، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ (آل عمران: ١٩)، وقال أيضا: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ (السورة نفسها:٨٥).

(٥) التضييق على المؤسسات الإسلامية، ومراقبة نشاطاتها وعرقلة سيرها في بعض بلدان العالم الإسلامي.

---

(١) الزحيلي، وهبة، التفسير المنير، ٦: ٢١٩.

المبحث الرابع
الدور الصهيوني والصراعات الداخلية العربية

من المعروف أن الكيان الإسرائيلي هو جسم غريب زرع في الوسط من جسد الأمتين العربية والإسلامية، ولكن المناعة في الجسدين العربي والإسلامي ظلت تلفظه باستمرار وإصرار لا مثيل له، مما يهدد بلا شك وجود هذا الكيان المغتصب. ولكي يحافظ الكيان الصهيوني على وجوده وبقائه ويستطيع تحقيق المزيد من التوسع كان لا بد أن يحاول تحطيم الجسدين العربي والإسلامي وتفتيتهما، وذلك لإضعاف مناعتهما. ومن هنا فإنه لا يخفي الصهاينة رؤيتهم للمنطقة العربية، وإستراتيجية التعامل معها، إذ يقول أحد مسؤوليهم ما يلي: "الشرق الأوسط ليس سوى موزاييك شعوب وثقافات وأنظمة تحكم شعوباً ومجموعات غير راضية، إذا استطاع الكيان الإسرائيلي الاتصال بهذه المجموعات كافة، المعادية للإسلام والعروبة، فإنها ستتمكن من تفتيت العالم الإسلامي قطعياً"(١).

وهناك العديد من المشاريع الإسرائيلية والتصريحات الرسمية لمسؤولي الكيان الإسرائيلي تتحدث بلا مواربة عن إستراتيجية التفتيت والتجزئة للعالمين العربي والإسلامي إلى دويلات صغيرة تقوم على أسس طائفية وعرقية(٢)، فالإرهابي شارون عندما كان وزيراً للدفاع في الثمانينات لم يتوقف عن الدعوة إلى الاتصال بالأقليات في الدول العربية لتفتيت العالم العربي وتقسيمه(٣).

---

(١) جونثان رندل (١٩٨٤) حرب الألف سنة حتى آخر مسيحي: أمراء الحرب المسيحيون والمغامرة الإسرائيلية في لبنان، ترجمة بشار رضا، العهد للنشر والتوزيع. ص ١٥٥.

(٢) سامي الخزندار. أسباب ومحركات الصراعات الداخلية العربية. الجزيرة نت. ٧/٢/ ٢٠٠٢.

(٣) ساسين عساف (١٩٩٧) "الصهيونية والصراعات الأهلية". عدنان السيد حسين وآخرين. النزاعات الأهلية العربية: العوامل الداخلية والخارجية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ص ١٥٨-١٨٠.

وفي ضوء هذه الإستراتيجية والغاية فإن الكيان الإسرائيلي أدى دوراً واضحاً في تقديم الدعم المادي والعسكري والفني لأقليات طائفية ودينية وعرقية في بعض الدول العربية، وذلك لتأجيج النزاعات في الوطن العربي العربية.

ومن أمثلة هذا الدور الإسرائيلي الخبيث: دعم بعض مليشيات (**الكتائب**) المسيحية في لبنان، دعم قوات المتمردين جنوب السودان ضد الحكومة السودانية، والاتصالات والدعم الخفي لبعض الفصائل الكردية في صراعها ضد الحكومة العراقية[١]. لقد بيّن الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أن أشد الكفّار تمردًا وعتوًا وعداوة للمسلمين: اليهود، ويضاهيهم المشركون. وقال: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾ (المائدة: ٨٢).

(١) المرجع السابق. ص ١٥٤-١٥٥.

المبحث الخامس
تأثير الاختلافات والتنازعات

(أ) أثر الاختلافات والتنازعات في وحدة الأمة الإسلامية دينياً:

كان لتعدد المذاهب واختلاف الفرق أثر سيء خطير على الإسلام والمسلمين؛ فالإسلام الموسوم بالسماحة الداعي إلى السلام قد تخضبت دماء أبنائه بعضهم ببعض؛ نتيجةً للخلافات المذهبية وضيق الأفق الذي حلّ بهؤلاء المتعصبين لمذاهبهم، وانتهى الأمر في كثير من الأحيان إلى القتال الدامي الذي ترك رواسب كثيرة في نفوس المسلمين من أبناء الطوائف المختلفة.

وقد ابتدأت دماء المسلمين تسيل أول الأمر على يد الخوارج الذين دعَوْا أنفسهم بالشراة، ورأوا أن الإسلام لا يتمّ إلا بالجهاد وقتل باقي المسلمين ممن لا يعتنقون مذهبهم، ومن بعد الخوارج قام القرامطة الذين أقضوا مضجع العالم الإسلامي، وحلّ شرهم كل بلد، وأسالوا الدماءَ في كل صعيد ووادٍ، وانتشروا في العراق والشام والحجاز، يوقعون الفزعَ، ويبُثُّونَ الرعبَ في قلوبِ المسلمين، مع قتل ونهب وسلب؛ حتى إنهم كثيراً ما هاجموا حجاج بيت اللهِ تعالى وقتلوهم وطموا بهم بئر زمزم، ونهبوا ستائر الكعبة وهدموها، ونقلوا الحجر الأسود إلى عاصمتهم هجر.

ومع عجلة الزمان أخذ الخطر ينتشر من مكانه وأخذ الصراع بين المذاهب المختلفة بخاصة الشيعة والسنة - يحتلّ مكانًا ظاهراً في حياة المسلمين، والغلبة للقوى صاحب السلطان من الطرفين، وهكذا نجد الشيعة حينًا معتدين غالبين. ومن الغريب أن الأمرَ لم يكن مقصوراً على معسكري الشيعة والسنة بل كثيراً ما وقع الخلاف بين أحزاب السنة أنفسهم.

على أننا نلاحظ أن أكثرَ الفرقِ الإسلامية خسارة أرواحٍ وأنفسٍ هم الشيعة أنفسهم، وذلك لأسباب عدة، أهمها: عطف الناس عليهم أول الأمر؛ باعتبارهم

أهل البيت الكريم، وشدة تعلقهم بهم، الأمر الذي كان يرتعد منه الخلفاء الأمويون والعباسيون فرقًا، فكانوا يشددون عليهم النكير ويوقعون بهم الأذى.

وسبب آخر: هو التفاف بعض الغلاة حولهم، أولئك الذين كانوا يؤلهونهم حيناً، أو يرفعونهم إلى مراتب النبوة حيناً آخر، الأمر الذي كان يجعل جمهور المسلمين ينفر منهم، ويوقع الأذى بهم؛ فالكيسانية والسبئية والإسماعيلية كل أولئك كانوا يُثيرون المسلمين بما ينادون به من مبادئ هي أبعد ما تكون عن الإسلام.

وإذا ما تتبعنا المصادمات والخلافات التي وقعت بين الشيعة والسنة، سواء أ كان المعتدون هؤلاء أم أولئك فإننا سنجد صفحات دامية سوداء لوّثت أفق الحياة الإسلامية لبضعة قرون من الزمان.

ولم يقف أمر الخلاف الدامي بين المسلمين على السنة والشيعة وحدهم، بل إنه جرى بين المعتزلة والسنة أيضاً، ولعلنا ما زلنا نذكر فتنة خلق القرآن الكريم، فقد أوقع المعتزلة بمساعدة بعض الخلفاء العباسيين – كالمأمون والمعتصم – الأذى والضرّ والقتل ببعض أهل السنة ممن رفضوا القولَ بخلق القرآن الكريم.

ولعل أيادي خفية كانت حريصة على إذكاء نار الفتنة بين المسلمين حتى بين أبناء الطائفة الواحدة، فقد جرت خلافات ومصادمات بين أهل السنة بعضهم ببعض، ولقد كانت بين الحنابلة (**انصار أحمد بن حنبل** (رحمه الله)) وبين أبناء المذهب الشافعي نزاعات؛ فقد ثار أنصار أحمد بن حنبل (رحمه الله) علي أتباع الشافعي (رحمه الله) وألحقوا بهم الاعتداء، وأرادوا أن يجعلوا لأنفسهم مركزاً حصيناً ينقضون منه على خصومهم، فبنوا مسجداً في بغداد جعلوا منه وكراً للمشاغبة، واستعانوا بفريق من العميان مسلحين بالهروات كانوا يطلقونهم على الشافعية فيوسعونهم ضرباً حتى يشرفوا على الموت.[١]

(١) ابن كثير، **البداية والنهاية**، دار المفرق، ١٩٨١م، ٨: ٢٢٩.

وكذلك نرى أن من المسلمين من يسبّ بعضهم بعضاً، مع أن السب والشتم حرام في الإسلام، وعن عبد الله قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((سِبَابُ المسلم فُسُوق، وقِتَاله كُفْر))[1]

وكذلك نتجت عن التنازعات، الفرقةُ القاتلة على مرّ القرون، التي لم تفد الإسلام في شيء، بل نخرت عظامه، وأضعفت مقاومته لتيارات الغدر والاستعمار. إن هذه الخلافات خطيرة قد تؤدي إلى انهيار الأمة الإسلامية، وكل مسلم صحيح الإسلام غيور على دينه ووطنه يتحمل جانباً من تلك المسؤولية.

دور الاستعمار في التنازعات:

ومن العجب أن الاستعمارَ الحديث أو بالأحرى الصليبية المعاصرة والصهيونية الماكرة التي يعتنقها كل المستعمرين، لايزالون يستفيدون من تفرق المسلمين في مذاهبهم وفرقهم، وهم من أجل ذلك يوسعون شقة الخلاف بين المسلمين من أبناء الوطن الواحد؛ ففرقوا بين السني والشيعي في العراق ولبنان، وبين السني والإباضي في تونس والجزائر، وساروا على الطريقة نفسها في بقية بلاد المسلمين، والفرقة دائماً تؤدي إلى الضعف، وضعف المسلمين يمكّن للمستعمرين أعداء الإسلام أن يثَبّتوا أقدامهم في أرض المسلمين، وأرض المسلمين اليومَ هي أغنى بلاد العالم بالمواد الخام التي تحتاج إليها الصناعات الضخمة المعاصرة، ولا سبيل أمام المستعمر للوصول إلى هذه الثروات الضخمة إلا عن طريق تمزيق الشمل وتفريق الكلمة، وتأليب المسلم على أخيه المسلم، ثم تقريب بعض ضعاف النفوس من أبناء بعض الفرق الإسلامية وتشجيعهم والإغداق عليهم، وبناء آمال لهم كذاب، وبذلك يخرجونهم عن الصف، ويتخذون منهم معاول هدم وأدوات تدمير.

وقد تمكن الاستعمار بهذه الطريقة الجبّارة من أن يحرز بعض الانتصارات المؤقّتة؛ فكما ضاعت بعض الدول الإسلامية في الماضي نتيجة الفرقة والتمزق؛

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم (٧٠٧٦).

كذلك قد ضاعت فلسطين منذ بضعة عشر عاماً لهذا السبب، وطردوا العرب من ديار آبائهم وأجدادهم وسلبوا أموالهم ومرابعهم وأراضيهم. وها نحن هؤلاء قد ضيّعنا أفغانستان والعراق الآن في القرن الحادي والعشرين بسبب الاختلافات المؤدية إلى التمزق والتفرق، و إذا استمرّ الأمر على تلك الفرقة نخشى أن يسقط الوطن الإسلامي – بلدة إثر بلدة – كأوراق الخريف في يوم عاصف. أَمَا آنَ لنا أن نستيقظ ونرجع إلى القرآن الكريم، فنتحد ونكسّر رؤوس الشياطين؟!

(ب) أثر الاختلافات والتنازعات في وحدة الأمة الإسلامية سياسياً:

إنه ما أن قتل سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه، حتى اختلف الصحابة رضي الله تعالى عنهم اختلافاً ذريعاً بين دعاة طلب الثأر له وعلى رأسهم أم المؤمنين سيدتنا عائشة رضي الله تعالى عنها، وطلحة والزبير ثم معاوية وعمرو بن العاص (رضي الله عنهم) أجمعين. ودعاة تثبيت الخلافة لتمكين الخليفة من إقامة حكم الله تعالى في البغاة الخارجين عن الطاعة، القاتلين خليفة المسلمين. ونتج عن ذلك الخلاف واقعتان عظيمتان في تاريخ الإسلام هما: (واقعة الجمل) بزعامة عائشة رضي الله تعالى عنها من طرف وعلي رضي الله تعالى عنه من طرف آخر، وما كادت تغمد السيوف على أثر هذه الواقعة، حتى قامت واقعة (صفِّين) بين معاوية وعلي، ونتج عن الواقعتين افتراق صف العدالة والحق الذي كان يتزعمه علي رضي الله تعالى عنه إلى فرقة سميت بالخوارج، التي شقت عصى الطاعة بحجة أن علياً حكّم الرجال ولم يحكّم الله تعالى، ورأوا أنه بذلك قد استوجب الكفر، ولابد من أن يعترف به، ثم يتوب منه مما حمل علياً كرّم الله وجهه على مواجهتهم يوم النهروان؛ فأوسعهم قتلاً وجرحاً حيث قتل في ذلك اليوم أربعة آلاف مقاتل منهم، وقتل فيه عدد كبير من خيار الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ثم تفرقت الخوارج بعد ذلك فيما بينها فصارت مقدار عشرين فرقة، كل واحدة تكفّر سائرها.(١)

---

(١) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٢٠.

وكان مثل ذلك في الفرق الأخرى المقابلة لفرق الخوارج وجماعة المسلمين وهم الرافضة، ابتداء بفرقة السبئية التي زعمت أن علياً إله، مما حمل علياً كرّم الله وجهه على أن يحرقهم بالنار لشدة حنقهم عليهم، وأراد قتل زعيمهم عبد الله بن سبأ؛ ولأنه خاف اختلاف أصحابه عليه وقال به ابن عباس: إن قتلته اختلفت عليك أصحابه، فنفاه إلى المدائن[١].

ولقد انتهت الدولة العثمانية بسبب تعصبهم القومي والعرقي سنة ١٩١٨م، بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى وتمزقت الدول الإسلامية وأصبحت دويلات. ولا تقدر شعوبها على الوحدة. وانقسمت السياسة في هذه الدول في العصر الحاضر إلى تيارات مختلفة، منها: الاشتراكية، والماركسية، والعلمانية، والدينية[٢].

أفرزت في العصر الحاضر النزاعات العربية حالة من الاضطراب الأمني في الإقليم وعدم الاستقرار السياسي وقادت هذه الحالات المضطربة بدورها إلى التدخلات الخارجية، ونشوب الخلافات السياسية بين الدول العربية.

أدت النزاعات الداخلية في الدول العربية إلى تزايد دور دول الجوار الجغرافي في التأثير على طبيعة هذه النزاعات الداخلية وطرق حلها. فلا يخفى مثلاً تعامل تركيا وإيران مع القضية الكردية وتأثيره على أكراد العراق؛ وكذلك دور إثيوبيا وإرتيريا وأوغندا على مشكلة جنوب السودان، والصراع العربي مع الكيان الإسرائيلي وأثره على بعض الصراعات الداخلية في الدول العربية[٣].

أدت زيادة حدة التنافس بين القوى الدولية حول المزيد من الهيمنة والنفوذ في العالم العربي في مرحلة الحرب الباردة إلى تزكية الصراعات الداخلية في بعض الدول العربية. فكانت كل من القوتين العظميين آنذاك تدعم الصراع، أو

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٣٣- ٢٣٩.

(٢) العيسمي، شبلي، عروبة الإسلام، ط٣، مطبعة الانتصار، بغداد، ١٩٨٥م، ص١٤٥.

(٣) الخزندار، سامي، **أسباب ومحركات الصراعات الداخلية العربية**، الجزيرة نت، ٧/٢/ ٢٠٠٢.

تدفع إلى الصراع المسلح بين قوى المعارضة المحلية ضد النظام والسلطة السياسية الموالية للقوى العظمى الأخرى، وبشكل خاص لجوء القوى اليسارية المدعومة من الاتحاد السوفياتي في بعض الدول العربية للصراع، واللجوء إلى العنف ضد بعض الأنظمة السياسية التي كانت مدعومة من قبل الولايات المتحدة أو الغرب عموماً وبالعكس(١).

(ج) أثر الاختلافات والتنازعات في وحدة الأمة الإسلامية اقتصادياً:

حسب تصنيف البنك الدولي فإن جميع الدول الإسلامية تُعدّ دولاً نامية، تتفاوت في أوضاعها الاقتصادية وأدائها الاقتصادي تبعاً للتباين في مستوياتها التنموية وهياكلها الإنتاجية وربما يجد الباحث صعوبةً في وضعها تحت مجموعة متناسقة اقتصادياً، مع أنها دول تزخر بالمواد والثروات الطبيعية وتفيض بالقوة البشرية، وتحتل موقعاً إستراتيجياً وسط العالم، ولكن هذه الخصائص لاتشكل بذاتها تطوراً أو تنمية اقتصادية إذا لم يحسن استغلالها وتوظف لخدمة أغراض التنمية الاقتصادية.ووفقاً لتصنيف البنك الدولي فإن ٢٢ دولة إسلامية تقع تحت قائمة الدول الأقل نمواً، بينما يبلغ عدد الدول الإسلامية متوسطة الدخول ٣١ دولة من جملة ٥٧ دولة.(٢)ولايتجاوز نصيب الفرد من الدخل القومي ٦٥٥ دولار في السنة، أو أقل من ذلك في ٣١ دولة إسلامية يصل عدد سكانها إلى ٦٧ من إجمالي سكان العالم الإسلامي(٣).

يبدو لي أن السبب في ذلك هو غياب الوحدة، لذا فإن حاجة الدول الإسلامية إلى التكامل الاقتصادي وإلى إقامة السوق الإسلامية المشتركة ماسة فهو سبيلها الوحيد إزاء ضعف الهياكل الاقتصادية بهذه الدول، ولعدم وجود الترابط بين قطاعات الاقتصاد المختلفة وندرة عناصر الإنتاج، ومشاكل العجز في موازين التجارة والمدفوعات لهذه الدول وغير ذلك مما يترتب عليه عدم

---

(١) المرجع السابق: ٢٠٠٢/٢/٧.

(٢) IMF. (2002 a) World Economic Out Look 2002, Washinton, D,C.

(٣) IMF. (2002 b) Direction of Trade Statistics Quarterly, Washinton, D.C.

إمكان قيام هذه الدول بمواجهة متطلبات التنمية الاقتصادية بجهودها الفردية كل على حدة؛ لذا فإن الإستراتيجية التي ينبغي أن تسعى إليها هذه الدول لابد أن تكون قائمة على أساس التجمع والتكتل الإقليمي للتغلب على كافة المشكلات التي تواجهها، كما فعلت دول أروبا وأمريكا.

(د) أثر الاختلافات والتنازعات في وحدة الأمة الإسلامية ثقافياً:

تجاذبت العالم ثقافات عالمية، من أبرزها: الثقافة الماركسية والثقافة الليبرالية، ونظراً لأن الليبرالية ارتبطت بالاستعمار والهيمنة والاستغلال؛ فإن بعض البلدان الإسلامية وجدت ملاذها في الثقافة الماركسية؛ فتبنت برامجها الفكرية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية. إن هذه الثقافة التي انبنت عليها المشاريع التنموية حوّلت الإنسان المسلم إلى ذلك الماركسي الجديد، الذي استطاع أن ينفذ في كل القطاعات الحيوية ويخرج بقرارات إستراتيجية على حساب المكاسب المستقبلية للعالم الإسلامي؛ فصار يؤمّم قطاعاته الاقتصادية، ولكنه لم يفكر في توزيع أرباحه التي حقّقها بفضل هذا التأميم على بقية الدول الفقيرة، واتجه إلى إقامة المركبات الصناعية الضخمة على حساب ثروات الأراضي الفلاحية، لهذا تراجع القطاع الفلاحي تراجعاً رهيباً كانت له انعكاسات وخيمة على التنمية حيث لم تفلح الأيدولوجية الماركسية في إقناع الإنسان بضرورة النهوض بالقطاع الزراعي، وتمخضت عن ذلك ثقافة اتكالية تعوّل على الاقتصاد الموجه.

يبدو لي أن هذا التحول الثقافي كان بسبب تمزق الدول الإسلامية والتنازعات القائمة فيها وغياب الوحدة الثقافية الإسلامية.

تحذير القرآن الكريم من التفرق:

قد نزل القرآن الكريم بالأصول والتعاليم الإيجابية التي تعمل على وحدة المسلمين، وتجميع شملهم، وتوحيد صفوفهم، ليعيشوا أعزاء أقوياء، وينشروا الإسلامَ في الأرض. وهو في هذا السبيل - أيضاً - يحرّم التنازع والتفرق

والاختلاف، ويحذّر من كل سبب يؤدي إليهما، وبيّن العواقب الوخيمة التي تترتب عليها.

١ - قال تبارك وتعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ (آل عمران: ١٠٣). فإن الله تعالى يأمر عباده بالاعتصام بحبل الله المتين، الذي هو القرآن الكريم، ويأمرهم بالجماعة، وينهاهم عن التفرق والانقسام، لما في التفرق من زوال الوحدة التي هي سبب العزة والقوة، وبالعزة يعتز الحق، فيعلو في العالمين، وبالقوة يحفظ هو أهله من هجمات الواثبين المتربصين وكيد الكائدين. ثم يذكرهم بحال الأوس والخزرج، فإنه قد كان بينهم حروب كثيرة في الجاهلية، وعداوة شديدة وضغائن وإحن، طال بسببها قتالهم والوقائع بينهم؛ فلما جاء الإسلام فدخل فيه من دخل واعتصموا بحبل الله جميعا صاروا إخواناً متحابين بجلال الله، متواصلين في ذات الله، متعاونين على البر والتقوى، وعلى العمل الصالح لهم جميعاً، في الدنيا والآخرة.(١)

٢ - وقال أيضا:﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ (آل عمران: ١٠٥). فالله ينهى هذه الأمة أن يكونوا كالأمم الماضية في افتراقهم واختلافهم، وتركهم الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر مع قيام الحجة عليهم.(٢)

٣ - وقال تعالى أيضا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ (الأنعام: ١٥٩).

---

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، بيروت، دار المعرفة، ١: ٣٧١، وانظر أيضا رضا، محمد رشيد، **تفسير المنار**، ٤: ٢٠.

(٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ١: ٣٩٠.

٤ - وقال تعالى أيضا: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ (الأنفال: ٤٦). أي: ولا تنازعوا باختلاف الآراء، أو فيما أمرتم به، فتفشلوا وتجبنوا أي لا يقوّى بعضُكم بعضاً.[١] وقال أبو السعود:"أي تذهب دولتكم وشوكتكم، فالريح هنا مستعارة للدولة، من حيث إنها في تمشي أمرها ونفاذه مشبهة بها في صوبها وجريانها".[٢] وقد جمعت الآية بين سبب ونتيجتين؛ فأما السبب فهو التنازع، وأما النتيجتان فهما الفشل وذهاب الريح.

٥ - وقال تعالى أيضا: ﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ (الشورى: ١٣).

ومن الأساليب التي جاء بها القرآن الكريم لإبعاد المسلمين عن التنازع: أن بيّن في وضوح أن الشقاق والتنازع والتفرق والبعد عن الحق، وأمثال هذه الصفات هي في الواقع صفات الظالمين والضالين والكافرين والمشركين، وبالتالي فلا ينبغي ولا يجوز بحال من الأحوال أن تكون صفاتٍ للمؤمنين؛ لأن مقتضى الإيمان هو اتباع الحق، والاتحاد بين المسلمين والوحدة، وقال تعالى: ﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ (الحشر: ١٤). أي أنك أيها الرسول: إذا رأيت اليهود مجتمعين، خلتهم متفقين وهم مختلفون غاية الاختلاف لما بينهم من إحن وعدوان؛ فهم لا يتعاضدون ولايتساندون ولا يرمون عن قوى واحدة.[٣] وقال تعالى أيضا: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾﴾ (الحج: ٥٣). أي خلاف للحق، بعيداً عن موافقته جداً، بسبب ظلمهم وشركهم.[٤]

---

(١) القاسمي، محاسن التاويل، ٨: ٣١١.

(٢) أبو السعود، تفسير ابي السعود، ٤: ٢٥.

(٣) المراغي، مصطفى، تفسير القرآن، ٢٨: ٥٠.

(٤) القاسمي، محاسن التاويل: ٥: ١٥٥٢.

٦ - وقال تعالى أيضا: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝٣١ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٣٢﴾ (الروم: ٣١-٣٢).

تحذير السنة النبوية المطهّرة من التفرق:

كذلك جاءت السنة المطهّرة بهذا النهي الصريح عن التنازع والتفرق والاختلاف، ومن ذلك: قال شعبة أظنّه صلى الله عليه وسلم قال:

١ - **((لا تختلفوا، فإنّ من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا))**[١].

٢ - وقال صلى الله عليه وسلم أيضا: ((**من فارق الجماعةَ شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه**[٢]**.**

٣ - وقال أيضا: ((**ولا ترجعوا بعدي كُفَّاراً يضربُ بعضكم رقاب بعض**[٣]**)).** **وإنما يضرب بعضهم رقاب بعض إذا كانوا متنافرين متشاحنين؛ فعندئذ لايرقب بعضهم في بعض إلاَّ ولا ذمة. وذلك يتنافى مع الأخوة الإيمانية التي جعلهم الله عليها، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحثّ أصحابه وأمته عليها ويقول: ((... وكونوا عباد الله إخواناً))**[٤]**.**

٤ - وقال صلى الله عليه وسلم أيضا: ((**دعوني ما تركتكم، إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم؛ فإذا نهيتكم عنه فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بامر فاتوا به ما استطعتم))**[٥]**.**

---

(١) رواه البخاري في صحيحه مع فتح الباري، **كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهود**، ٥: ٧٠.

(٢) رواه أحمد في مسنده، ٥: ١٨٠، ورواه أبو داؤد في سننه، **كتاب السنة، باب قتل الخوارج**، ٥: ١١٨.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، حديث رقم (٧٠٧٧)، ومسلم **في الإيمان** برقم ٦٦، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه، ١١: ٣٤١ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، ٨: ١٤٢، **في كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ.**

٥ - ونهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن العصبية، وقال: ((**ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية**))[١].

٦ - عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة**))[٢].

٧ - قال صلى الله عليه وسلم أيضاً: ((**أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، ومن أراد بحبوحة الجنة فيلزم الجماعة**))[٣].

٨ - وقال أيضاً: ((**يد الله مع الجماعة**))، وقال: ((**من فارق الجماعة شِبْراً فمات فميتته جاهلية**))[٤].

فهذه الأحاديث أكبر داعٍ للوحدة والمحبة والأخوة، ونبذ الفرقة والبغضاء والمشاحنة.

٩ - عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((**إنّ الله يرضى لكم ثلاثاً، ويسخط لكم ثلاثاً: يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً، ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولّاه أمركم. ويسخط لكم ثلاثاً: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**[٥]

١٠- عن زينب بنت جحش أنها قالت: استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم محمرّاً وجهه يقول: ((**لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب من شر قد اقترب...**)) ويشير النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما يجري بين المسلمين من خلاف من بعده.[٦]

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، ٥: ٤٠٥، كتاب الأدب، باب في العصبية.

(٢) أخرجه الترمذي برقم ٢١٦، ٤: ٤٦٩، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) رواه الترمذي، كتاب الفتن، حديث رقم ٢١٦٦.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

(٥) رواه مسلم، حديث رقم (١٧١٥)، ٣: ١٣٤.

(٦) رواه البخاري، حديث رقم (٧٠٥٩) ٤: ١١٣.

١١- ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة**)).

١٢- لقد أخبر الرسول صلّى الله عليه وسلّم عن تفرّق الأمة الإسلامية وتمزقها وتشتتها وتفككها قبل أربعة عشرة قرناً.

عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: ((**لياتِيَنّ على أمتي كما أتى على بني إسرائيل حَذْوَ النعلِ بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أُمَّه علانيةً، لكان في أمتي من يصنع ذلك. وإن بني إسرائيل تفرّقت ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملةً، كلهم في النار إلا ملة واحدة**))، قالوا: من يا رسول الله ؟ قال: ((**ما أنا عليه وأصحابي**))[١]

(١) رواه الترمذي في الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة برقم ٢٦٤١، وقال غريب.

المبحث السادس

التحديات الداخلية لوحدة الأمة الإسلامية في تأسيس المذاهب الفقهية والعقلية والإبداعية

لقد عاش أئمة الفقه الأعلام تحديات داخلية كانت مُحفِّزاً لهم على أن يأتوا بمعادلة دقيقة حرصا منهم على التفاعل مع هذه التحديات تفاعلا واقعيا إيجابيا. وبحكم تعقد التحديات واختلاف مشارب الفقهاء الأعلام، بل حتى بحكم اختلاف البيئات والمعطيات والمأثور عن السلف جاء كل فقيه بما حسب أنه تركيبة تلتزم المرجعية وتجيب عن التحديات الواقعية.

ومن جملة التحديات الداخلية التي عاشها مؤسسو المذاهب: وقوف كل مؤسس على مناهج تأسيسية تختلف – نوعاً ما – عن التي وقف عليها غيره. فأبو حنيفة النعمان – مثلاً – وقف على منهج فقه أهل الرأي الذي ورثه عن عبد الله بن مسعود – الذي تذكر عنه بعض الروايات أنه كان يفضل الاجتهاد بالرأي على أن يجترئ على حديث رسول الله – وكان يستحضر دائماً التوجيه النبوي وتوجيه الخلفاء الراشدين في الإقلال من الرواية عن رسول الله ﷺ، وكان يقف كذلك على نصوص رد فيها الصحابة بعض الأخبار، لاعتبارات عقلية أو قياسية أو مصالح كلية، ونصوص الصحابة في هذا كثيرة*، كما كان يقف على إشكالية وجود الفرق الكلامية، وفُشوِّ الوضع في حديث رسول الله، ووجود الرواية بالمعنى لأحاديث المصطفى.

كل هذه الملابسات أعطت المسوغ لدى أبي حنيفة وأهل الرأي ـ بعد تأكيدهم على حجية السنة النبوية عموماً وحجية خبر الواحد على وجه الخصوص ـ في إعمال النظر في متن الحديث بمثل، أو بقريب من إعماله في سنده، أضف إلى ذلك وجود حوادث ممدودة ونصوص محدودة دفعت بأصحاب

---

* من أمثلة عدم إعمال الصحابة لأحاديث بسبب معارضتها بأحاديث أخرى، أو مخالفتها لمقاصد الشريعة من رفع الحرج، رد عائشة حديث قطع الصلاة، ورد ابن عباس حديث الوضوء من حمل الجنازة، وغيرها من الأحاديث.

هذا المذهب إلى التوسع في إعمال الاجتهاد والقياس، ونقد بعض أخبار الآحاد، ووضعها تحت محكات أصولية كعرضها على القرآن، والسنن العملية، والقواعد الكلية، وموافقة ما عليه الفقهاء، وغيرها من القواعد. وممن بسط هذه القواعد في شكل أصولي وسجلها في كتاب يعكس التحديات الواقعية في عصره: الإمام أبو يوسف، المتوفى سنة ١٨٢هـ، أي بعد وفاة الإمام مالك بثلاث سنوات، وقبل ما يختص الإمام الشافعي بمذهب، فقد قال أبو يوسف في رده على الأوزاعي عندما انتقد كتابة أبي الحسن الشيباني كتاب السير** وفي صدد الكلام عن منهج الاحتكام إلى الحديث النبوي الشريف:" .. فعليك من الحديث بما تعرف العامة وإياك والشاذ منه..."[(١)] وساق أحاديث في عرض الحديث على القرآن والتقليل من روايته إلى أن قال:" والرواية تزداد كثرة ويخرج منها ما لا يعرف ولا يعرفه أهل الفقه، ولا يوافق الكتاب والسنة، فإياك وشاذ الحديث، وعليك بما عليه الجماعة من الحديث، وما يعرفه الفقهاء، وما يوافق الكتاب والسنة، فقس الأشياء على ذلك، فما خالف القرآن فليس عن رسول الله ﷺ، وإن جاءت به الرواية! .. فاجعل القرآن والسنة المعروفة لك إماماً قائداً، واتبع ذلك، وقِسْ عليه ما يرد عليك مما لا يوضح لك في القرآن والسنة"[(٢)].

بينما نجد الإمام مالك يتفق مع منهج الحنفية في رد حديث الآحاد إذا خالف القرآن أو القواعد الكلية أو الأصل العام، والأصول الإسلامية من رفع الحرج، وقد أورد الشاطبي في الموافقات جملة من الأحاديث التي ردها الإمام مالك بناء على مخالفتها لهذه الأصول، من مثل رد حديث ولوغ الكلب، وحديث

** سبب الكتاب أنه لما كتب محمد بن الحسن الشيباني كتاب السير الصغير -وهو رواية عن أبي حنيفة- وقد زاد فيه بعض الأمور ورتبه ووقع في يد الأوزاعي إمام الشام فنظر فيه قال:" لمن هذا الكتاب؟ فقيل لمحمد العراقي. فقال:" ما لأهل العراق والتصنيف في هذا الباب! فإنه لا علم لهم بالسير، ومغازي رسول الله ﷺ وأصحابه كانت من جانب الشام والحجاز، دون العراق، فإنها محدثَةٌ فَتْحًا" فبلغت مقالة الأوزاعي محمد بن الحسن الشيباني فغاظه ذلك، ففرغ نفسه حتى صنف هذا الكتاب" انظر: أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري: **الرد على سير الأوزاعي**. تصحيح وتعليق أبي الوفاء الأفغاني، مقدمة المحقق، ص٣، ٤.

(١) أبو يوسف: الرد على سير الأوزاعي، ص٢٤.

(٢) المرجع نفسه، ص٣١، ٣٢.

خيار المجلس، وحديث إكفاء القدور، وحديث العرايا، والمصراة، وغيرها من الأحاديث[١] وزاد على هذا تقديم عمل أهل المدينة النقلي على خبر الواحد، حتى قال في رده على أبي يوسف حين جادله في الأذان:" يا سبحان الله! ما رأيت أمرا أعجب من هذا، ينادى على رؤوس الأشهاد في كل يوم خمس مرات، يتوارثه الأبناء على الآباء، من لدن رسول الله إلى زماننا هذا، أيحتاج فيه إلى فلان عن فلان؟ هذا أصح عندنا من الحديث"[٢].

غير أن الشافعي وبحكم وقوفه على تناقضات القواعد التي وضعها أئمة المذهب الحنفي والمالكي، واضطرارهم إلى مخالفتها في جزئيات عدة، وإمكان تأويل مختلف الحديث بناء على اعتبار الناسخ والمنسوخ والعام والخاص وما أشبه ذلك بدل رده، وبالتالي الطعن في أسس الاحتكام في شرع الله، انضاف إلى ذلك اختراع الورقة، وتفشي حركة التدوين، وبدأ ظهور حركة حديثية يسرت وضع أحاديث المصطفى ﷺ التي كانت محفوظة في صدور محدودة بين يدي كل الفقهاء والمحدّثين، ندب الشافعي نفسه ليرد على الاستدلالات المبنية على غير أصل، مُعْتبِراً إياها تشهياً وقولاً بالهوى، ولم تكن ظهرت بعدُ في عصر الشافعي المدونات الحديثية الكبرى، ولكن ما إن جاء عصر الإمام أحمد بن حنبل وجمعت مئات الآلاف من الأحاديث، حتى اشترط أحمد كما سبقت الرواية أن يكون المفتي حافظاً لما لا يقل عن خمسمائة ألف حديث، حتى يجوز له أن يفتي، كان طبيعياً أن يؤكد جملة من المعاصرين لهذه المرحلة على الاقتصار على كتاب الله وسنة رسول الله في الفتوى، وعدم إعمال القياس عليها إلا للضرورة والحاجة، ورفض غيرها من المصادر، معتبرين إياها موهومة، كون هذا العدد الهائل من الأحاديث لابُدّ أن يضم حكم المسائل المستجدة، إن لم يكن نصاً فدلالة، الأمر الذي جعل بعض أرباب المذهب الحنفي والمالكي ـ عند ظهور المدونات الحديثية الضخمة ـ يحاولون إعطاء مسوغات لأئمتهم في عدم إعمال بعض الأحاديث من مثل عدم اطلاع الأئمة على هذه الأحاديث، أو ترجيحهم

---

(١) انظر الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ج٣، ص٢٧ وما بعدها.

(٢) القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج١، ٢٢٤.

للعمل بالخبر المرسل، ورواية الفقيه، وغيرها. ولكن مع احتكاك المناصرين للتمسك بالسنة مع الوقائع المتغيرة ومشاركتهم في أجهزة القضاء واحتكاكهم بمتطلبات المجتمع عاودوا محاولة إعمال بعض ما أسموه بالمصادر الموهومة. فقبل القاضي الماوردي (ت٤٥٠هـ) الاجتهاد على غير أصل فيما يتعلق بالمعاملات، على الرغم من أن الإمام الشافعي أعلن حرباً شعواء على الاجتهاد على غير أصل، وعده تشهياً وقولاً بالهوى، فقال الماوردي في وجوه الاجتهاد.

"والثامن، ما كان مستخرجاً من غير نص ولا أصل، فقد اختلف في صحة الاجتهاد فيه بغلبة الظن على وجهين:

أحدهما: لا يصح الاجتهاد بغلبة الظن حتى يقترن بأصل؛ لأنه لا يجوز أن يرجع في الشرع إلى غير أصل، وهذا الظاهر من مذهب الشافعي، ولذلك أنكر القول بالاستحسان، لأنه تغليب ظن بغير أصل.

والوجه الثاني يصح الاجتهاد به، لأن الاجتهاد في الشرع أصل، فجاز أن يستغني عن أصل، وقد اجتهد العلماء في التعزير على ما دون الحدود بآرائهم في أصله من ضرب وحبس، وفي تقديره بعشر جلدات، وبعشرين في أخرى، وبثلاثين في أخرى، وليس لهم في هذه المقادير أصل مشروع. والفرق بين الاجتهاد بغلبة الظن، وبين الاستحسان: أن الاستحسان يترك به القياس، والاجتهاد بغلبة الظن يستعمل مع عدم القياس"(١). وقال في موضع آخر كلاماً يمثل تجديداً للمذهب الشافعي في مراحله الأولى: "..فإن رجع [في اجتهاده] إلى أصل من كتاب أو سنة صح، وجاز أن يعمل به ويفتي... وإن لم يرجع المجتهد إلى أصل من كتاب ولا سنة فقد جوز بعض أصحابنا اجتهاده، وأنكره بعضهم، ولا يعجبني واحد من القولين على الإطلاق.

والذي أراه أنه يصح اجتهاده في المعاملات، ولا يصح اجتهاده في العبادات، لأن العبادات تكليف يتوقف على الأوامر بها، والمعاملات تخفيف تعتبر النواهي عنها"(٢).

---

(١) انظر الماوردي: **أدب القضاء**، ج١، ص٥١٨-٥٢٠.

(٢) المرجع نفسه، ص٥١٠، ٥١١.

وكذلك الأمر بالنسبة للمذهب الحنبلي، فقد صار في بداية القرن الخامس إلى القول بالمصلحة المرسلة، لاسيما في السياسة الشرعية، فقد عرف ابن عقيل الحنبلي السياسة الشرعية بقوله: "السياسة ما كان فعلا يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن الفساد، وإن لم يضعه الرسول ﷺ ولا نزل به وحي"، وقد تبنى ابن القيم هذا التعريف في كتابه "الطرق الحكمية"[١].

الشاهد في كل هذا: أن الأئمة الأعلام عاشوا تحديات واقعية، وأن علاجهم لإشكالاتهم لم يكن ضرباً من الخيال أو الحيد عن الصراط السوي، وإنما كان بذلاً لأقصى الوسع في بلوغ الغرض، والخروج بمنهج يحسب أصحابه أنه يلتزم الشرع، ويجيب متطلبات الواقع، ويحسن التفاعل معها.

(١) ابن قيم الجوزية: **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**، ص١٧.

المبحث السابع
التحديات الخارجية لوحدة الأمة الإسلامية

لاشك أن الأمة الإسلامية تُوَاجِهُ تحديات عامة كبيرة تستهدف وحدتها ورسالتها، بل وجودها بوصفها أمة حضارية حاملة لرسالة خاتمة. وهذه التحديات ذات طابع خارجي في معظمها، متمثلة في تكالب الأعداء من كل صوب على الأمة الإسلامية بغرض نهب خيراتها والإساءة إلى رسالتها، بدفع شعارات مختلفة، مثل العولمة، والإرهاب، وغير ذلك. وتتمثل هذه التحديات بأشكال متعددة، وهي كما يلي.

(١) هيمنة النموذج الغربي:

من الحقائق الأساسية التي تجابه الإنسان في العصر الحاضر: أن النموذج الحضاري الغربي يشغل مكاناً مركزياً في وجدان معظم المفكرين والشعوب. ليس من المستغرب أن يحقّق نموذج حضاري غربي له مقدرات تعبوية وتنظيمية مرتفعة انتصارات باهرة على الصعيدين المعنوي والمادي.(١)

فقد صار الغرب اليوم يملك تقدماً علمياً فائقاً، وتقدماً مادياً هائلاً، وعبقرية تنظيمية مبدعة، وروحاً من الجلَد والصبر على العمل والإنتاج وروحاً علمية في مواجهة المشكلات من ناحية الدراسة أو من ناحية التنفيذ.(٢)

وكانت أهم عوامل هذه الهيمنة، حركة النهضة العلمية التي شهدتها أوربا منذ القرن السادس عشر. كما أن العامل الاستعماري يمثّل أحد عوامل الهيمنة الغربية الراهنة على العالم والتاريخ وعلى الإنسانية كلها، حتى صار الغرب عند الكثير صنماً يُعْبَدُ من دون الله تعالى. إضافة إلى عوامل التخلف التي ظهرت خلال مسيرة تطور المجتمع الإسلامي وأدت إلى سقوط الحضارة الإسلامية.

---

(١) المسيري، عبد الوهاب، **فقه التحيز**، منير الشرق، السنة ٤، شوال ١٤١٥هـ- مارس ١٩٩٥م، ص٤٩.

(٢) قطب، محمد، **واقعنا المعاصر**، الجزائر، مكتبة رحاب، ١٩٨٩م، ص٢٤٣.

"فأصبحت محاولات اللحاق بالغرب هي جوهر جميع المشروعات النهضوية في العالم الثالث، بما في ذلك العالم الإسلامي. وصار الغرب هو التشكيل الحضاري الذي سبقنا وعلينا اللحاق به، وتحول الغرب من بقعة جغرافية وتشكيل حضاري له خصوصيته ومفاهيمه إلى البقعة التي يخرج منها الفكر العالمي والإنساني الحديث، ونتيجة لهذا الوضع تحيز المثقفون للتراث الغربي، وأهملوا تراثهم، بل وأهملوا التراث العالمي ذاته".[(١)]

(٢) التحديات الفكرية والثقافية:

وكذلك التطور الهائل في وسائل الاتصال التي تحققت في هذا العصر، ولاسيما في الوسائل المرئية والمسموعة، قد أدخل خللاً واسعاً في النظام التربوي للأسرة المسلمة، فقد بات من الصعب على الوالدين والذين يتولون شأن التربية – بصفة عامة – السيطرة على المعلومات التي تغزو أذهان أطفالهم الغضة. فجهاز التلفاز والراديو والإنترنت وغيرها تنقل إلى داخل حجرات النوم كل ما يدور حول العالم من أحداث ووقائع، الصالح منها والطالح، والحق منها والباطل، فلا يمكن السيطرة عليها والتحكم فيها بصورة كاملة. ولاشك أن في ذلك تحرير للطفل من القيود التربوية، وضرر كبير يلحق بالنشوء من حيث ضرورة تشربهم في مقتبل حياتهم بالأخلاق السوية والقيم الحميدة دون سواها، وهو تحدٍ تربوي كبير يواجه الأمة؛ لأن الخطر لايكمن في تقنية وسائل الاتصال، وإنما في محتوى الرسالة الإعلامية فيها، فإنه لا جدوى من مقاومة أثر الغزو الفكري بتحريم تلك الوسائل نفسها، بل الأجدى معرفة كيفية التعامل معها، وترويضها وتنظيمها وضبطها لصالح الشعوب، وتغذيتها بالمفيد من البرامج التربوية الخلقية والفكرية، واستخدامها للتواصل بين الشعوب وتعارفها، لا لتكريس التبعية الثقافية للغزو الفكري، وذلك عبر إستراتيجية إعلامية تربوية.[(٢)]

---

(١) المسيري، عبد الوهاب، فقه التحيز، ص٥١.

(٢) راجع مزيدًا من التفاصيل عن أثر الإعلام في التربية: محمد الخضر في مقالته (تأثير الإعلام وخطرها على التربية) ضمن أبحاث المؤتمر التربوي الإسلامي الثاني لمعهد طرابلس الجامعي للدراسات الإسلامية (طرابلس- لبنان ١٩٩٣م) ص٢٤١.

(٣) التحديات الاجتماعية:

وتتمثل بتصدير الأمراض الاجتماعية التي تعانيها المجتمعات غير الإسلامية: كالتفكك الأسري، والتحلل الخلقي، والتمزق الاجتماعي والنفسي، بسبب انتشار المخدرات والزنا واللواط والخمور والعزوف عن الزواج الشرعي وانتشار الولادات غير الشرعية؛ مما أدى إلى صراخ العلماء والمفكرين الغربيين وتصريحهم بقرب انقراض الجنس الأوربي والإمريكي، مما حدا بهم إلى فتح أبواب الهجرة للعمالة من الدول الفقيرة؛ لسد النقص الحاصل نتيجة تلك الأمراض الاجتماعية، التي أصبحت مزمنة لا ينفع معها العلاج، ولشدة وطأتها عليهم بدؤوا يصدرونها إلى الدول الإسلامية التي تملك بنية اجتماعية قوية ورصينة، ولا تمتلك قوة عسكرية وتكنولوجية، بل تمتلك ثروات هائلة من كل ما خلق الله تعالى على الأرض؛ ليسهل لهم السيطرة على تلك الثروات بواسطة ما يمتلكونه من قوة عسكرية وتكنولوجية تفتقر إليها الأمة الإسلامية كلها.

(٤) التحديات السياسية:

وتتمثل بالسياسات التي تحكم الدول الإسلامية وفرض تبعيتها للغرب، ولو فكر المسلمون - حكاماً ومحكومين - لوجدوا أن استقرارهم في استقلال سياساتهم عن الغرب والشرق، ورسم سياسة مستقلة لهم، تكسبهم القوة، وتحقق لهم منعتهم وعزتهم، وذلك يتحقق بالتوحد شعوباً وحكاماً ودولاً إسلامية لتكسبهم الهيبة والعزة والسمو بين الأمم.

المبحث الثامن
أهمية وحدة الأمة الإسلامية وضرورتها

لقد ألّف الإسلام حين ظهر بين قلوب من اتبعوه واتخذوه ديناً لهم، فجعل منهم جماعة متآلفة، يعاون بعضهم بعضاً، وينصره ويؤازره، حتى كان لهم من ذلك يوم ظهروا بمكة - وهم قلة مستضعفة - منعة حفظتهم من شرور أعدائهم، وقوة أظهرتهم وردّت عنهم كيد خصمائهم، ولولا ذلك لقضي عليهم في مهدهم، وانتهى أمرهم في أول عهدهم، ثم بدا ذلك التآلف بينهم بعد هجرتهم إلى المدينة المنورة أجلى مظهراً وأوسع مجالاً وأبعد أثراً، وأشد قوة، بما عقد بين المهاجرين والأنصار من الأخوة والولاء والمعاونة في السراء والضراء، والمشاركة في الأموال، والمناصرة في القتال، والتعاون على النهوض والظهور والعمل، لنشر دعوة الإسلام، والوصول إلى ذلك الغرض السامي الذي دعاهم إليه دينهم الجديد، وهداهم إلى صراط رسولهم الصادق الأمين، قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾﴾ (الأنفال: ٦٢- ٦٣).

"إنه تعالى جعلهم أمة واحدة متآلفة متعاونة في مناصرتك، بعد ما كان بينهم من العداوة والبغضاء، إثر منازعات وحروب طويلة في الجاهلية، كما كان الحال بين الأوس والخزرج من الأنصار".[١]

وطبيعي أن يؤلّف الإسلام بين أتباعه فيجعل منهم أمة قوية متحدة متماسكة إذا ما تمكن من قلوبهم، واستولى على مشاعرهم، وسيطر على أفكارهم، وذلك بسبب ما يدعوهم إليه من وحدة الفكر وسمو الغرض والسعي

---

(١) الزحيلي، دوهبة، التفسير المنير، ط١، بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٤١١هـ-١٩٩١م،٩، ٥٧.

إلى تحقيق الغاية المنشودة التي لأجلها جاء، ولتحقيقها شرع، وما لهذا الدين من الأثر البالغ في العواطف والمشاعر والأفكار.

أشار القرآن الكريم في أكثر من آية أن أمة الرسول صلّى الله عليه وسلّم أمة واحدة، تعليماً لهذه الأمة أن تأخذ بأسباب هذا الأمر، إذ إنها وارثة رسالات الرسل جميعاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ (الأنبياء: ٩٢). "أي إن ملة التوحيد أو ملة الإسلام هي ملة واحدة، وشريعة واحدة، متفق عليها بين جميع الأنبياء والشرائع، وهي التي يجب أن تكونوا عليها، فكونوا عليها أمةً واحدةً غير مختلفة فيما بين الأنبياء".[1] وقال في آية أخرى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ (المؤمنون: ٥٢).

دعا الإسلامُ إلى الوحدة؛ لأنها طبيعته وركنه الذي تقوم عليه دعوته الدينية العامة الموجهة إلى الناس أجمعين. ولقد استجاب لها المسلمون في أول عهدهم، فأكسبتهم قوة وعزة وغلبة عزّت بها الدعوة الدينية، فانتشرت وانتصرت وصدّت من عارضها؛ فتفتحت أمامها الطرق، واتسع لها الأفق، وعمّمت بلاد من كان يعاضها ويدفعها ويقف في طريقها بما كان له من قوة ومال وجاه ورجال.

عني الإسلام كثيراً بتقوية تلك الوحدة، وإحكام تلك الرابطة حتى جعلها أخوة بين المسلمين، تنمحي فيها الفوارق، وتختفي فيها الطبقات، ويتساوى فيها جميع الأفراد في منازلهم وحقوقهم وواجباتهم، كما يتساوى الأخوة في ذلك من الأسرة الواحدة.

أراد الإسلامُ أن يجعلَ لهذه الوحدة وتلك الرابطة ما لرابطة الأخوة من القوة والمكانة والحرص على صيانتها، والبعد بها عن أن تتعرض لمعاول الهدم والتفريق وأسباب الخصومة والنزاع؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ (الحجرات: ١٠). ذكر

(١) المرجع السابق١٨: ١٢٨.

تبارك وتعالى هنا "أنه لا أخوة إلا بين المؤمنين، ولا أخوة بين المؤمن والكافر؛ لأن الإسلام هو الرباط الجامع بين أتباعه، وتفيد - أيضاً - أن أمرَ الإصلاح ووجوبه إنما هو عند وجود الأخوة في الإسلام، لا بين الكُفَّار".(١)

لم يكتفِ الرسول صلّى الله عليه وسلم في بيان حقيقة تلك الرابطة وما تستلزمه من حقوق وواجبات بما جاء به الكتاب العزيز من إجمال، بل فصل فيها القول فأشار إلى أنها مساواة في الحقوق، ومساواة في المنـزلة لا تعرف فيها السيطرة، ولا سيادة الطبقات، فعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم قال: ((**المسلمُ أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يُسلمه**))(٢)

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: ((**المسلم أخو المسلم، لايخونه، ولايكذبه، ولا يخذله**))(٣).

وعنه رضي الله تعالى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**من نفَّسَ عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّسَ الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّرَ على مُعْسِرٍ يسَّرَ الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**))(٤).

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**لا يؤمن أحدكم حتى يُحِبَّ لأخيه ما يحب لنفسه**))(٥).

والوحدة الإسلامية كما تقوم على أسس وطيدة فإنها كذلك تتكوّن من عناصر أصيلة:

---

(١) المرجع السابق:٢٦: ٢٣٩.
(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٣١٠) ٢: ٨٦٢، ومسلم برقم (٢٥٨٠) ٤: ١٩٩٦.
(٣) رواه الترمذي برقم ١٩٢٧، ٤: ٣٢٥، وقال: هذا حديث حسن غريب.
(٤) رواه مسلم برقم (٢٦٩٩) ٤: ٢٧٤.
(٥) أخرجه البخاري ربقم (١٣) ١: ١٣.

- **الأول: وحدة الشعور بالأخوة العامة التي يشعر بها المسلم بأنه أخ** للمسلم.

(١) وعن النعمان رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: ((**مثل المؤمنين في توادّهم وتَرَاحُمِهم وتَعَاطُفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**[1]

(٢) وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله تعالى عنه يحدّث عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم أنه قال: ((**إن المؤمنَ من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، يألم المؤمن لأهل الإيمان، كما يألم الجسد بما فيه**))[2].

(٣) وعن بريدة بن عبد الله بن أبي بردة عن أبيه عن جده أبي موسى قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: ((**المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشدّ بعضه بعضاً**[3]

(٤) وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال عليه الصلاة والسلام: ((**من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم**[4].

(٥) وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلّى الله عليه وسلم قال: ((**المسلمون تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، يسعى بذمتهم أدناهم**))[5]

- **الثاني: وحدة الثقافة**: بحيث تجمع المسلمين ثقافةٌ دينية واجتماعية واحدة، لتحمي الشعور بالأخوة.
- **الثالث: التعاون التام** بين المسلمين في الحرب والاقتصاد.

---

(١) أخرجه مسلم **في صحيحه** برقم (٢٥٨٦) ٤: ١٩٩٩.

(٢) قال ابن كثير تفرد به أحمد (٢٢٩٢٨) ٥: ٣٤، ولا بأس بإسناده، **تفسير القرآن العظيم**، ٤: ١٩٣.

(٣) أخرجه مسلم **في صحيحه** برقم (٢٥٨٦) ٤: ١٩٩٩.

(٤) رواه **الطبراني في الأوسط** برقم (٧٤٧٣) ٧: ٢٧٠.

(٥) أخرجه **أبو داود** برقم (٢٧٥١)، ٣: ٩٠، **وابن ماجة** برقم (٢٦٨٣) ٢: ٨٩٥، **وأحمد** برقم (٦٧٩٧) ٢: ١٩٢، **والحاكم في مستدركه** برقم (٢٦٢٥) ٢: ١٥٣.

هذه العناصر تكوّن وحدة الأمة ولو تفرقت الأماكن.[١]

تلك روح تظهر أن وحدة المسلمين وتآخيهم نتيجة حتمية لاعتناق هذا الدين على وجهه الصحيح. وأن تلك الوحدة لا تتم إلا بزوال الفوارق بينهم من ناحية الوطن والجنس والسلطان؛ فلا يكون للمسلمين إلا وطن واحد، هي الأرض التي تقلّهم وتضمهم مهما اتسعت أنحاؤها، وتعددت جهاتها، وتباعدت أقطارها، ثم لايكون لهم نسب ينتسبون إليه سوى الإسلام، ولا جنسية تجمعهم إلا جنسية الإيمان، ولا سلطان يحكمهم سوى القرآن الكريم، تقوم عليهم بسلطانه حكومة تنفذ فيهم أحكامه، وترفع فيهم أعلامه، وتهذبهم بأخلاقه، وتهديهم بإرشاده، وتزكّيهم بتعاليمه، وتربيهم على مبادئه.

---

(١) أبو زهرة، محمد، **الوحدة الإسلامية**، ص٩٨- ٩٩.

المبحث التاسع
أهمية اللغة العربية في توحيد الأمة الإسلامية

تمثّل الوحدة اللغوية المرتكز الأول من المرتكزات الأساسية التي تقوم عليها الوحدة الشاملة بين شعوب الأمة الإسلامية وحكوماتها. إن اللغة العربية هي أبرز ما يتميز به المسلمون على مستوى الوحدة اللغوية؛ لأنها لغة القرآن الكريم، وأقوى رابط لغوي، يشدّهم إلى فهم مصادر شريعتهم الغرّاء، ويقول الشيخ الكبير محمد الغزّالي: "الإسلام يقوم على دعامتين جليلتين، هما: الكتاب المجيد، والسنة المطهّرة، والكتاب المجيد نزل باللغة العربية، والرسول صلى الله عليه وسلم عربي الحياة والتراث..وبناء على ذلك لايفقه حقيقة الوحي، ومنهج الرسالة الإسلامية، إلا خبير بأدب العروبة، راسخ القدم في بيانها، وذوّاقة بطبيعة البلاغة العربية، بصير بدلالات الكلام القريبة والبعيدة، وبمعانيه الأصلية والثانوية..وليس المقصود هنا بالعربية الجنس بل هو اللسان".(١)

فاللغة العربية تمثّل الوسيلة الأساسية لفهم الإسلام، وهي شرط لازم للتفقه في شريعته وإدراك مقاصده العليا، واستنباط الأحكام الفرعية العملية من أصوله، ومن هذا المنطلق رأى معظم الأئمة أن القراءة في الصلاة يجب أن تتمّ بالعربية. وقد أكّد علماء الأمة الإسلامية ضرورة تعلم اللغة العربية؛ تمهيداً للفهم الصحيح للإسلام، ولحسن فهم مقاصده، ولضمان سهولة التخاطب والتفاهم بين أفراد الأمة الإسلامية.

يقول الشيخ ابن تيمية:"إن نَفَسَ اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض واجب، ولايفهم إلا بفهم اللغة العربية وما لايتمّ الواجب إلا به فهو واجب".(٢)

---

(١) الغزالي، محمد، **حقيقة القومية العربية**، القاهرة، مكتبة دار العروبة، ص١٤- ١٥، وانظر: نوير، إبراهيم: **مرتكزات الوحدة الثقافية بين المسلمين عند الشيخ محمد الغزالي**، مجلة التجديد، العدد السابع، فبراير، ٢٠٠٠م، ص١٣٧.

(٢) الدراسات اللغوية والنحوية وأثرها في استنباط الأحكام الشرعية، ط١، لبنان، دار البشائر، ٢٠٠٢م، ص٣٥ وما بعدها.

لقد استطاعت اللغة العربية أن تستوعب الحضارات المختلفة: العربية والفارسية والهندية واليونانية، وأن تجعل منها حضارة واحدة، عالمية المنزع إنسانية الرؤى، وذلك لأول مرة في التاريخ، وفي ظل القرآن الكريم. أصبحت العربية لغة عالمية.(١)

إن العربية لعبت دوراً جوهرياً في حفظ كيان الأمة؛ فقد ربطت أولها بآخرها كما ربطت الأمة الإسلامية في كل بقاعها برباط لغوي، ولكن العقبات النفسية والقومية والعلمانية أدت إلى تفكك الوحدة. تشكل العقبة النفسية أولى العقبات، وهذه العقبة ناتجة عن عوامل عدة. فمن المعلوم أن الأمة الإسلامية الآن أمة متعددة الأعراق واللغات. فعدد اللغات التي يتحدث بها المسلمون كثير جدا. وهذه اللغات لأنها لغات قومية ارتبطت بوجدان متحدثيها، بحيث أصبحت جزءاً منهم، وأصبح من العسير التخلي عنها. يضاف إلى ذلك ضعف فعالية اللغة العربية في ميادين التقنية والإعلام. ويضاف إلى ذلك أن العلمانية – التي هي بنت لكل ما هو غير إسلامي – تكاتفت مع القومية، وتسعى إلى إقامة مجتمع على مُثُل صاغها خيال دعاتها. وهي بالتالي تدعو إلى الابتعاد عن الدين.

واجهت اللغة العربية تحديات كبرى، قادتها قوى خارجية، تمثّلت في الاحتلال الغربي للأمة الإسلامية بعد القضاء على الخلافة العثمانية التي كانت رمزاً لوحدة المسلمين السياسة، وعملت قوى الاحتلال الغربية على تمزيق وحدة المسلمين الثقافية وتقسيم العالم الإسلامي إلى مناطق نفوذ تابعة للقوى المحتلة عسكرياً وثقافياً؛ فأنشأ الاحتلال روابط لغوية ملزمة للشعوب الإسلامية حلّت محل اللغة العربية. وقد أدرك المسلمون أن القضاء على اللغة العربية هو مقدمة وتمهيد للقضاء على وجود الأمة الإسلامية؛ لذا تمسكوا بها ولكن التوحد لا يمكن أن يكون كاملاً وقويا إلا إذا جعلت اللغة العربية اللغة الأولى لجميع المسلمين.

---

(١) من قضايا اللغة العربية المعاصرة: ص١٨.

المبحث العاشر
عوامل الوحدة الإسلامية

إن عوامل الوحدة الإسلامية تكمن في التوحيد في العقيدة والشريعة، لا في الوطن، ولا في الجنس واللون واللغة والطائفية والقومية وغيرها. لقد حذّر القرآن الكريم من الانجراف نحو هذه الأفكار الهدّامة. وبيّن أن الناس سواسية كأسنان المشط في الأصل والمنشأ الإنساني؛ فهم من أب وأم واحدة، وفي الحقوق والواجبات التشريعية، وهذه أصول الدمقراطية الحقة. وقد أبان الله أنه خلق الخلق من الذكر والأنثى أنساباً وأصهاراً، وقبائل وشعوباً من أجل التعاون والتواصل، لا للتناكر والتقاطع، والمعاداة. والتفاضل بينهم إنما هو بالتقوى، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ (الحجرات: ١٣). وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: ((**كلكم بنو آدم، وآدم خُلِقَ من تراب، ولينتهينّ قوم يفخرون بآبائهم، أو ليكونُنَّ أهون على الله تعالى من الجُعْلَان**))[١]، وقال عليه الصلاة والسلام: ((**يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإنّ أباكم واحد، ألا لا فضلَ لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى**))[٢]

وفيما يلي أهم عوامل الوحدة:

(١) الإيمان بالله ورسوله والمعاد:

تقضي المفاهيم الدينية التي دلّت عليها النصوص الإسلامية، بأن الأصل هو وحدة المجموعة البشرية، بشرط التقائها على الإيمان بالخالق الواحد الذي

---

(١) رواه أبو بكر البزّار في مسنده.

(٢) الهيثمي، علي بن أبي بكر، **مجمع الزوائد**، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ، ٣: ٢٦٦.

خلقها وبالرسل وبيوم الآخرة، وبسائر أركان الإيمان، وبشرط التزامها بما ينـزل عليها من أحكام وتكاليف، ومهما غيّر في ذلك وبدّل من حين لآخر، تبعاً للحكمة التي تقتضيها ظروف المجتمع البشري المتطوّر. قال تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ (البقرة: ١٧٧). وقال أيضا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ (النساء: ١٣٦).

إن أهمية الإيمان تكمن لدى الأفراد، وهو ما يحقق للأمة توازنها الاجتماعي والفكري والثقافي والسياسي، فالحديث النبوي حدّد للثقافة والقيم الإسلامية قوائم سلوكية، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: ((**الإيمان بضع وسبعون شعبة؛ فافضلها: قولُ لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**))[١] وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم قال: ((**أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله**))[٢]

وهذا الإيمان هو الذي يربط الجماعة الإسلامية، ويجعل ولاء بعضهم لبعض، حتى تبقى جماعتها قوية وشخصيتها متميزة، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ

---

(١) رواه البخاري برقم (٩) والترمذي، انظر محمد بن عبد الله الخطيب، **مشكاة المصابيح**، ت: محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، حديث رقم ٥.

(٢) رواه البخاري، حديث رقم (٢٥).

﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة:٧١).

(٢) عامل الهجرة:

الهجرة بكافة معانيها اللغوية والمعنوية، وهي تعني الهجرة للظروف التي توفر للمؤمنين أنموذجاً حيوياً كمثل أعلى للحياة الإسلامية، محرّراً من كافة الأغلال والآصار الثقافية والاجتماعية والمعنوية والمادية التي تحول دون هذا العيش. فهي هجرة معنوية حسية، هجرة الفواحش المكانية، أي الأماكن التي تعيق عمل الأمة كالهجرة من مكة إلى المدينة. وهجرة الفواحش الجسدية وهي تعني التزكية والطهارة. عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلّى الله عليه وسلم قال: ((**المسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله**))[١].

(٣) عامل الجهاد:

إن مفهوم الجهاد بمعناه الإسلامي هو الإسلام بكامله، فهو ليس بمعناه الشمولي قتال الكفّار فحسب، بل إن المعنى التأصيلي للجهاد وبيان مظاهره حسب الزمان والمكان فبهذا المفهوم يأخذ الجهاد ثلاث مظاهر محورية.

المظهر الأول: الجهاد التربوي القائم على تزكية النفس، لتحقيق ذاتية التفكير، فهو بهذا المظهر يحتاج لمؤسسات وخبراء وميادين وطرق وسبل ومربين عاملين في مجالاته ورفع النبي صلّى الله عليه وسلم من هذا المظهر الجهادي، فساوى فيه مداد العلماء بدماء الشهداء.

والمظهر الثاني: الجهاد التنظيمي، أي تنظيم قدرات الأمة المعنوية والمادية والبشرية وطاقاتها، وتنسيقها بشكل يضمن حشده وتكاملها لتحقيق أهداف الرسالة.

والمظهر الثالث: الجهاد العسكري، وغايته إزالة العوائق الحائلة دون بقاء

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم (١٠) ١: ١٠.

النوع البشري. قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾ (الحج: ٧٨). والجهاد أنواع ثلاثة: جهاد النفس والهوى، وجهاد الشيطان وجهاد الكفّار المعتدين والمنافقين المرجفين. وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي صلّى الله عليه وسلم قال: ((**جاهدوا المشركين باموالكم وانفسكم والسنتكم**))[1] وقال تعالى أيضا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ٤﴾ (الصف:٤)، وقال أيضا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١﴾ (الصف: ١٠- ١١).

(٤) عامل الإيواء:

الإيواء بمعناه النظري هو: المنعة، والنصرة، والنجدة، والأمن، والملجأ، والحماية، والراحة، والاسترخاء. ولقد طبق النبي صلّى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله تعالى عنهم أكبر مظهر من مظاهر الإيواء؛ فما قدّمه الأنصار للمهاجرين من مؤاخاة وإقامة واقتسام للمأكل والمسكن والملبس والفراش، وما قام به النبي صلّى الله عليه وسلم من تنظيم اجتماعي عملي في المجتمع المدني ببسط الإخاء ووضع الدستور. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ﴾ (الأنفال: ٧٢).

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم.

المبحث الحادي عشر
روابط الأمة الإسلامية الواحدة

أما روابط الأمة الإسلامية الواحدة فتتلخص بما يلي:[١]

(١) وحدة مصادر التشريع، وأسس التصور لمفاهيم الحياة، التي تشمل الجوانب الإنسانية المختلفة: الفردية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وتشمل تحديد أحكام مختلف أنواع السلوك الإنساني الظاهر والباطن: في علاقة الإنسان مع نفسه، ومع ربه، ومع أئمة المسلمين وعامتهم، وضمن كل دوائر المجتمع، من الأسرة الصغيرة حتى الأسرة الإنسانية الكبرى كلها.

(٢) وحدة العناصر الأساسية والرئيسة لمناهج السلوك في الحياة، باعتبارها مستنبطة بهَدْي الوحدة الفكرية الاعتقادية، وهَدْي وحدة مصادر التشريع.

(٣) التقاء المصالح والأهداف والمشاركة في الآلام والآمال مشاركة حقيقية نابعة عن عمق الوحدة الفكرية.

(٤) الواجب الرباني الذي يفرض وحدة الجماعة لتبليغ دين الله، وإقامة العدل في الناس.

(٥) مشاعر المصير المشترك الذي تمثله الأمة الربَّانية الواحدة في الحياة الدنيا، وأمة السعادة في دار النعيم في الآخرة.

---

(١) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، **الأمة الربانية الواحدة**، ص٤٥ وما بعدها.

الخاتمـــــة

أعرض في الخاتمة خلاصة البحث، وأهم نتائجه، وهي على النحو الآتي:

(١) اختلاف الناس قَدَر إلهي وجزء لايتجزأ من عقيدة المسلم. وإذا أُحْسِنَ استغلاله فسيكون مصدر قوة للأمة الإسلامية، لا مصدر ضعف وتفرق، وهو مصدر الثراء والإبداع الفكري، ولايمكن أن يكون مصدراً للتفرق.

(٢) تُعَدُّ العصبية من جوهر الخلاف الذي فرّق الأمة، والتنازع على الخلاف والتعصب القومي والعنصري الذي هو من موروثات الجاهلية؛ فالاختلاف في اللون واللسان والدم، وإن كانت هذه عوامل توحد طائفة كبيرة من البشر، لكنها عوامل عرضية لا تتصل بجوهر الإنسان، وكذلك مجاورة المسلمين لأهل الديانات، وشيوع الترجمة، والبحث في الأمور الغامضة، وظهور القصص والمتشابه في القرآن واستنباط الأحكام الشرعية والجهل بمعتقدات الآخرين، والخلافات العربية حول الحدود والموارد الاقتصادية.

(٣) إن الأهمية الاقتصادية التي تتمتع بها المناطق الحدودية، وسعي الدول لتنمية مواردها الاقتصادية كان وراء ظهور معظم النزاعات الحدودية في دول العالم الإسلامي.

(٤) كان لتعدد المذاهب واختلاف الفرق أثر سيء خطير على الإسلام والمسلمين؛ فالإسلام الموسوم بالسماحة الداعي إلى السلام قد تخضبت دماء أبنائه بعضهم ببعض، نتيجة للخلافات المذهبية، وضيق الأفق الذي حلّ بهؤلاء المتعصبين لمذاهبهم، وانتهى الأمر في كثير من الأحيان إلى القتال الدامي الذي ترك رواسب كثيرة في نفوس المسلمين من أبناء الطوائف المختلفة.

(٥) وكانت الفرق الإسلامية عند نشأتها أحزاباً سياسية وليست دينية، والاختلاف بينها لم يكن اختلافاً في صلب العقيدة الإسلامية وإنما كان

خلافاً في الرأي حول طريقة الحكم، واختيار الحاكم ثم انقسمت كل فرقة إلى فرق عدة بسبب الخلافات الساسية.

(٦) إن التحول الثقافي الإسلامي إلى الثقافة الماركسية وغيرها كان بسبب تمزق الدول الإسلامية وغياب الوحدة.

(٧) من إستراتيجية اليهود: التفتيت والتجزئة للعالمين العربي والإسلامي إلى دويلات صغيرة تقوم على أسس طائفية وعرقية. وفي ضوء هذه الإستراتيجية والغاية فإن الكيان الإسرائيلي أدى دوراً واضحاً في تقديم الدعم المادي والعسكري والفني لأقليات طائفية ودينية وعرقية في بعض الدول العربية، وذلك لتأجيج النزاعات في الوطن العربي.

(٨) إن القرآن الكريم نزل بالأصول والتعاليم الإيجابية التي تعمل على وحدة المسلمين، وتجميع شملهم، وتوحيد صفوفهم، ليعيشوا أعزاء أقوياء، وينشروا الإسلام في الأرض. وهو في هذا السبيل يحرّم التنازع والتفرق والاختلاف، ويحذّر من كل سبب يؤدي إليهما، وبَيّنَ العواقب الوخيمة التي تترتب عليهما، وكذلك السنة المطهرة جاءت بالنهي الصريح عن التنازع والتفرق والاختلاف.

(٩) إن الأمة الإسلامية تواجه تحديات عامة كبيرة تستهدف وحدتها ورسالتها، بل وجودها بوصفها أمة حضارية حاملة لرسالة خاتمة. وهذه التحديات ذات طابع خارجي –في معظمها– متمثلة في تكالب الأعداء من كل صوب على الأمة الإسلامية بغرض نهب خيراتها والإساءة إلى رسالتها، بدفع شعارات مختلفة، مثل العولمة والإرهاب وغير ذلك.

(١٠) من الحقائق الأساسية التي تجابه الإنسان في العصر الحاضر: أن النموذج الحضاري الغربي يشغل مكاناً مركزياً في وجدان معظم المفكرين والشعوب.

(١١) إن التحديات الاجتماعية تتمثل بتصدير الأمراض الاجتماعية التي تعانيها المجتمعات غير الإسلامية، كالتفكك الأسري، والتحلل الخلقي، والتمزق الاجتماعي والنفسي، بسبب انتشار المخدرات والزنا واللواط والخمور والعزوف عن الزواج الشرعي. وكانت هناك التحديات الفكرية والثقافية

المتمثلة بتصدير المناهج الغربية وغير الإسلامية التي لا تتلاءم وتكوين الأمة الإسلامية الفكري والعقدي.

(١٢) دعا الإسلام إلى الوحدة؛ لأنها طبيعته وركنه الذي تقوم عليه دعوته الدينية العامة الموجهة إلى الناس أجمعين. وكذلك عني الإسلام كثيراً بتقوية الوحدة، وإحكام الرابطة التي جعلها أخوة بين المسلمين، تنمحي فيها الفوارق، وتختفي فيها الطبقات، ويتساوى فيها جميع الأفراد في منازلهم وحقوقهم وواجباتهم، كما يتساوى الأخوة في ذلك من الأسرة الواحدة.

(١٣) إن من عوامل الوحدة الإسلامية: الإيمان بالله ورسوله والمعاد والهجرة بكافة معانيها اللغوية والمعنوية، والجهاد التربوي القائم على تزكية النفس، والجهاد لتنظيم قدرات الأمة المعنوية والمادية والبشرية وطاقاتها، والجهاد العسكري لإزالة العوائق الحائلة دون بقاء النوع البشري. والمنعة والنصرة والنجدة والأمن والحماية والراحة والاسترخاء.

(١٤) تمثل الوحدة اللغوية المرتكز الأول من المرتكزات الأساسية التي تقوم عليها الوحدة الشاملة بين شعوب الأمة الإسلامية وحكوماتها. إن اللغة العربية هي أبرز ما يتميز به المسلمون على مستوى الوحدة اللغوية، واللغة العربية تمثل الوسيلة الأساسية لفهم الإسلام.

الاقتراحات والتوصيات:

في ختام هذه الورقة أقدّم لتحقيق وحدة الأمة الإسلامية، المقترحات المتواضعة الآتية:

(١) نبذ العصبيات بكل أشكالها، والخلافات والفوارق الطائفية والقبلية والإقليمية والقطرية والعرقية والمذهبية والفرقية والقومية واللغوية، ونبذ الأنانيات الشخصية من جميع شعوب العالم الإسلامي، والتي لا تجلب إلا الفشل والوهن والضعف والتخاذل والتبعثر والانقسام.

(٢) قراءة أفكار الآخرين وتشخيص مواطن القوة والضعف فيهم وانتخاب ما يعزّز الوحدة الإسلامية منها، للوصول إلى مناقشة جماعية، لتصحيح الأخطاء بالتعاون والتكالف؛ لتجاوز كل أشكال الخلاف والفرقة والتمزق.

(٣) إحكام الرابطة الإسلامية بين الجميع باتخاذ القرآن الكريم والسنة النبوية مصدرين للهداية والتوحد والعمل على تحقق الاتحاد بين زعماء الشعوب الإسلامية، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ (المؤمنون: ٥٢). وأساس المعيار هو التقوى، وليس بالقومية والعرق واللون وغيرها.

(٤) توحيد نظام التعليم العام ومناهجه وكتبه في العالم الإسلامي بإدخال التعليم الإسلامي في جميع مراحل التعليم ونبذ الأفكار العلمانية والاشتراكية والإلحادية وغيرها، أي توحيد الفكر الإسلامي في جميع المؤسسات الحكومية؛ لأن الأمة إذا بقيت على أفكار متباينة وعقائد مختلفة لن تأتيَ الوحدة أبداً.

(٥) العمل على نشر اللغة العربية لغة القرآن الكريم في جميع بلدان العالم الإسلامي، وجعلها لغة الدين والعلوم الإسلامية، واللغة الثانية في التخاطب بعد لغة أي بلد إسلامي غير عربي.

(٦) التعاون بين دول العالم الإسلامي في جميع الشؤون التعليمية والتوجيهية والإعلامية والاقتصادية والدينية والعسكرية والصناعية والزراعية، وغير ذلك من مختلف شؤون الحياة.

(٧) مقاومة الاستعمار والنفوذ الاستعماري والتفرقة بين الدين والحضارة من ناحية والثقافة والحضارة من ناحية أخرى، وإيجاد وحدة فكرية إسلامية.

(٨) جعل التوحيد الفكري والنفسي بين الشعوب الإسلامية وفق منهجية الله تعالى، وعمل النبي عليه السلام، وعدم جواز النظرات القومية المغالية المستوردة من الغرب.

(٩) تقوية نسيج البنية التحتية لوحدة الأمة، التي تتمثل في العديد من دوائر الانتماء الأولية التي تبدأ بالأسرة، وتمر بالجماعات الحرفية والمهنية

والمذهبية والثقافية والنقابية والاتحادات النوعية، وتنتهي بالأمة في مجموعها.

(١٠) تفعيل دور الجامعات والمؤسسات التعليمية في التقريب بين المذاهب الإسلامية والاستفادة من تاريخ المسلمين ودراسته لإعادة الوحدة للأمة كما كان أسلافها.

(١١) إنشاء الجامعة المركزية العالمية في إحدى الدول الإسلامية، لتوحيد الفكر الإسلامي، يفد إليها طلاب من جميع الدول الإسلامية.

(١٢) أن تبادر الدول العربية بإرادة حرة ومن خلال أطر ثنائية وجماعية إلى تسوية الخلافات والنزاعات حول الحدود والموارد الإقتصادية، وتفادي الوقوع في صدامات تكون نتيجتها التدخلات الخارجية وزيادة الأطماع الأجنبية في ثروات الأمة ومواردها.

(١٣) ضرورة التعجيل في حل التناقضات الداخلية الخاصة بكل دولة على حده، ونزع فتيل تفجير الأزمات داخل كل الدولة بالطرق السلمية والشورية، وفي ذلك حفظ لموارد الأمة وصيانة لوحدتها ورفاهيتها وأمنها.

(١٤) إدراك حجم المؤامرات التي تحاك ضد الأمة، والعمل على إفشال المخططات التي تستهدف وحدة الأمة واستقلالها ونهضتها، ووضع الخطط المكافئة لذلك وتنفيذها بروح جماعية متضامنة.

(١٥) تقوية المؤسسات والهيئات الرسمية العربية والإسلامية وتمكينها من القيام بدورها في فض النزاعات بالطرق السلمية، وتنفيذ المشاريع المشتركة التي تقوى الأمة وتوحد إرادتها.

ثبت المصادر والمراجع

(١) **القرآن الكريم، مصحف المدينة النبوية**، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٠٧هـ.

(٢) ابن تيمية، **الدراسات اللغوية والنحوية وأثرها في استنباط الأحكام الشرعية**، ط١، لبنان، دار البشائر، ٢٠٠٢م.

(٣) ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الظاهري أبو محمد، **الفصل في الملل والنحل**، القاهرة، طبعة مكتبة الخانجي، د. ت.

(٤) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**، ت: محمد جميل غازي، القاهرة، مطبعة المدني، (د- ت).

(٥) ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية**، دار المفرق، ١٩٨١م.

(٦) ـــــ، **تفسير القرآن العظيم**، دار الحديث، ط٧، القاهرة، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

(٧) ابن ماجه، الحافظ ابن عبد الله محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجة**، طبعة الحلبي بمصر، ١٩٥٣م.

(٨) أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي، **سنن أبي داود**، طبعة الحلبي، ١٣٧١هـ.

(٩) أبو زهرة، الإمام محمد، **تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد**، القاهرة، دار الفكر العربي.

(١٠) الآيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد، **كتاب المواقف**، ت: عبد الرحمن عميرة، ط١، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٧م.

(١١) أحمد، **مسند الإمام أحمد**، المكتب الإسلامي، د. ت.

(١٢) باخشب، عمر بن أبو بكر "**الخلافات الحدوية بين دولتي قطر والبحرين وفقاً لمبادئ القانون الدولي العام**" مجلة الاقتصاد والإدارة، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية- جدة، مجلد (١٥) العدد(١)، (٢٠٠١).

(١٣) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن بردزبة، **صحيح البخاري**، ت: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ط١، دار الفكر، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

(١٤) البيانوني، محمد أبو الفتح، **وحدة العمل الإسلامي بين الأصل والواقع**، ١، الأردن، دار عمار، ١٩٨٨م.

(١٥) الترمذي، أبو عيسى بن سورة، **سنن الترمذي**، ت: أحمد شاكر، دار الكتب العلمية، د. ت.

(١٦) جونثان رندل حرب الألف سنة حتى آخر مسيحي: **أمراء الحرب المسيحيون والمغامرة الإسرائيلية في لبنان**، ترجمة بشار رضا، العهد للنشر والتوزيع، ١٩٨٤.

(١٨) الحاكم، أبو عبد الله محمد، **المستدرك**، دار المعرفة، بيروت، د. ت.

(١٩) الخزندار، سامي. **أسباب ومحركات الصراعات الداخلية العربية**. الجزيرة نت. ٢٠٠٢/٢/٧.

(٢٠) الخطيب، محمد بن عبد الله، **مشكاة المصابيح**، ت: محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

(٢١) الدجاني، أحمد صدقي، **وحدة التنوع وحدة حضارية عربية إسلامية في عالم الترابط**، ط١، القاهرة، دار المستقبل العربي، ١٩٩٠م.

(٢٢) الدمشقي، إسماعيل بن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، بيروت، دار القلم، ط٢، د- ت.

(٢٣) الزحيلي، وهبة، **التفسير المنير**، ط١، بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

(٢٤) الزحيلي، محمد، **مرجع العلوم الإسلامية**، دمشق، دار المعرفة، مطبعة الصباح، د- ت.

(٢٥) سامي الخزندار. **أسباب ومحركات الصراعات الداخلية العربية**. الجزيرة نت.

(٢٦) ساسين عساف "**الصهيونية والصراعات الأهلية**". في عدنان السيد حسين وآخرون. النزاعات الأهلية العربية: العوامل الداخلية والخارجية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،١٩٩٧م.

(٢٧) الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، **الموافقات في أصول الشريعة**، شرح: عبد الله دراز، بيروت، دار المعرفة، (د- ت).

(٢٨) الشكعة، مصطفى، **إسلام بلا مذاهب**، ط١، مصر، دار المصرية اللبنانية، ١٩٩٤م.

(٢٩) عبد المجيد، أبو سعيد محمد، **الكشّاف العصري الشامل لألفاظ القرآن الكامل**، نشره مركز البحوث بالجامعة الإسلامية بماليزيا، ط١، ٢٠٠٣م.

(٣٠) عفيف، طلعت محمد، **المسلمون وداء الفرقة**، ط١، مصر، مكتبة دار الإيمان، ١٩٩٤م.

(٣١) العمادي، أبو السعود محمد بن أحمد، **تفسير أبي السعود**، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي.

(٣٢) الغزالي، محمد، **الحقيقة القومية العربية**، القاهرة، مكبتة دار العروبة، د. ت.

(٣٣) القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحمصي، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، ت: أحمد بكير، بيروت، دار مكتبة الحياة، (د- ت).

(٣٤) القرضاوي، **الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٩٩٣م.

(٣٥) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، بيروت، دار الكتاب العربي، د. ت.

(٣٦) قطب، محمد، **واقعنا المعاصر**، الجزائر، مكتبة رحاب، ١٩٨٩م.

(٣٧) الماوردي، علي بن محمد، **أدب القاضي**، ت: محيي هلال السرحان، بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٧١م.

(٣٨) محروس، صادق سعيد "**منازعات الحدود في دول مجلس التعاون الخليجي**: ملامحها العامة مع دراسة للنزاع القطري-البحريني والنزاع القطري-السعودي". مجلة الاقتصاد والإدارة، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية-جدة، المجلد (٨) العدد (١)، (١٩٩٥).

(٣٩) مسلم، أبو الحسن، مسلم بن الحجاج القشيري، **صحيح مسلم**، مصر، دار إحياء الكتب العربية.

(٤٠) المسيري، عبد الوهاب، **فقه التحيز**، منير الشرق، السنة ٤، شوال ١٤١٥هـ٠ مارس١٩٩٥.

(٤١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، **من قضايا اللغة العربية المعاصرة**، تونس، ١٩٩٠م.

(٤٢) المنظمة العربية للتنمية الزراعية، **دراسة تقويم مناهج إدارة واستخدام الموارد المائية في الزراعة العربية** (٢٠٠١).

(٤٣) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، **الأمة الربانية الواحدة**، ط١، دمشق، دار القلم، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٤٤) النسائي، الحافظ أبو عبد الرحمن بن شعيب النسائي، **سنن النسائي**، طبعة الحلبي بمصر، ١٣٨٣هـ.

(٤٥) نوير، إبراهيم، **مرتكزات الوحدة الثقافية بين المسلمين عند الشيخ محمد الغزالي**، مجلة التجديد، العدد السابع، فبراير، ٢٠٠م.

(٤٦) الهيثمي، علي بن أبي بكر، **مجمع الزوائد**، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ